جامعة المنصورة
كلية الحقوق
الدراسات العليا
قسم الشريعة الإسلامية

مفهوم المواطنة فى المنظور الإسلامي

بحث تكميلى لمناقشة رسالة دكتوراه

إعداد الباحث

محمد النبوي مخيمر

تحت إشراف الأستاذ الدكتور

الهادي السعيد عرفة

استاذ الشريعة الإسلامية

كلية الحقوق جامعة المنصورة

١٤٣٨ هـ-٢٠١٧م

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ
وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ
عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾

سورة الحجرات ايه١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد البشر أجمعين، وقائد الغر المحجلين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، وسار على نهجه إلى يوم الدين، ثم بعد.

فإن ربانية المنهج الإسلامي الذي جاء به الرسول ﷺ من ربه، والقائم على الوحي (القرآن والسنة) المطهرة، والذي لا يتعارض مع الحضارة الانسانية السليمه، في أي جانب من جوانبها، وكما أنه لا يمثل أي إشكالية لأتباعه بين مصالحهم الدنيوية المشروعة ومبادئهم الدينية القويمة.

وحيث أن الإنسان هو محور الكون، الذي يدور حوله كل الأشياء، والمسخرة له في كل زمان ومكان بفضل الله ورحمته، جُعل هذا الكائن، آية من آيات الله العظمى، وهو الذي خلقه في أحسن صورة، قال تعالي: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [1]، وكرمه الله تعالى واصطفاه من بين سائر الكائنات. والشرع الإسلامي لم ينظر للإنسان تلك النظرة البدائية التي قدسها اغلب العلماء في الحضارة الغربية، وقالوا ان الانسان مر بها في الطور الأول. وهذا تماما عكس النظرة الاسلامية، حيث قال تعالي: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [2] . وجُعل الإنسان خليفة الله في الأرض، وفطره علي حب الوطن، ومن لا يحب وطنه لن يكون قادراً على العطاء والإيجابية، يقول الجاحظ نقلاً عمن سبقوه مكنياً عنهم بالأول: " وقال الأول: عمر الله البلدان بحب الأوطان، وكان يقال: لولا حب الناس لأوطانهم لخربت البلدان [3]. حتى ختم الله عز وجل الرسالات السماوية، بأكمل رسالة جمعت كل شيء، ووضعت حكماً لكل شيء، غير محددة بزمان أو مخصصة بمكان، خالدة خلود السموات والأرض، ويعمل بها الإنسان في ثنايا حياته، وبين اوطانه، وتحدد له هويته، وتوفر له السلم والآمن، ويسأل عنها عند يوم حسابه ومآبه.

---

(١) سورة التين، الآيه:٤

(٢) سورة الإسراء، الآيه:٧٠

(٣) الرسائل للجاحظ، الرسالة السابعة عشر، الحنين إلى الأوطان"ج٢ص٣٨٩"مكتبة الخانجى القاهرة، عام النشر ١٣٨٤هـ-٢٩٦٤م"

وهذه الرسالة هي الرسالة المحمدية الإسلامية الجامعة المانعة، التي ارست دعائم العقيدة، وفيها وردت أحكام وفرائض، لم يصل إليها العقل البشري إلى –الآن– من تصور لأحكامها، وانه وعلى الرغم من مرور أكثر من ألف وأربعمائة عام على نزولها، إلا أن عقل الإنسان لم يصل إلى جزء بسيط مما ورد فيها من قيم ومبادئ، وجُل ما وصل إليه هي تلك المواثيق والعهود والاتفاقيات الدولية، التي لا تعدو عن كونها ترجمة لما ورد في الشريعة من أحكام، سواء تجاه الإنسان وانتماءه لوطنه، وحقوقه هويته، وواجباته المجتمعية، ومنع الاعتداءات والعدوان والفساد في الأرض، قال تعالي:﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[1]

وحيث إن هدف هذه الاتفاقيات والاتفاقات هو المواطن وكرامته، مثلما ورد في الشريعة الإسلامية، التي جعلت التكليف والحساب والعمل مرتبط بإنسانيته، وتمام وكمال عقله وعلمه. وجميع هذه الاتفاقيات، كانت قاصرة عن الوصول إلى –الكمال–الذي ينشده المواطن في ضمان حقوقه من الاعتداء والخرق والاعتداء من قبل أبناء جنسه، سواء كانوا حكاما أو محكومين، ولسعة حجم الحاجات الإنسانية للفرد، انبثق التخصص والتجزئة لضمان الحقوق لهؤلاء الأفراد، وتحقيق العدل والسلم والآمن بالمجتمعات.

ومثال ذلك "الوثيقة المحمدية" التي أعطت "الحقوق"للمقيمين في المدينة (حفظها الله)، من مهاجرين وأنصار ويهود وغيرهم، من اجل ترسيخ اركان الانتماء، وتوطين السلم المجتمعي وتحديد رايته، وجعلت غير المسلمين في دولة المدينة، مواطنين فيها، لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين، وعليهم من الواجبات ما على المسلمين، طبقا للمبدأ الفقهي العام، "لهم مالنا وعليهم ما علينا "بما لا يتعارض مع أصول العقيدة. إذ على أساس قاعدة المساواة في الحقوق Rights والالتزامات بين اليهود والمسلمين والنصارى وغيرهم، التي تشكل المجتمع الإسلامي، وهذا ما أسماه البعض" المجتمع السياسي في المفهوم الإسلامي، والذي يحتوي على المجموعة المسلمة وغيرها من المجموعات غير المسلمة".

---

(١) سوره هود،الآيه:١١٦

إن البحث عن معنى للانتماء. بل للحياة غريزة فطرية يحتاجها كل إنسان. وعادة ما ينسب الإنسان لأبيه وأسرته ومن ثم لوطنه وعقيدته. وفي مواجهة التقاطعية التي قد تحصل بين الانتماءات المتناظرة للأفراد تحت سقف البيت والوطن، فإن ربانية المنهج الإسلامي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من ربه في القرآن الكريم قد أوجدت حالة من التناغم والتوازن الخلاق بين منعرجات خارطة الانتماءات المتناظرة تلك. فهذه الدوائر لم يأتِ الإسلام ليس دين قبيلة ولا وطن ولا جنس قومي خاص، غير إنه بالمقابل لم يلغ اعتبارات هذه الدوائر التي يمثل كل منها حاجة تاريخية معينة للناس، بل لقد اعتمدها، ودليل ذلك إنه أعطى في كل منها توجيهات قيمته الكبرى وهي العبودية لله حاكمة على تلك الدوائر كلها صابغة إياها صبغة الإسلام المتميزة، مما يجعل تلك الدوائر متناغمة فيما بينها دون تشاكس تبعاً لوحدة القيم الموجهة لها.

وبما أن الإسلام دين الله الخاتم للبشر، فقد جعل غايته الكبرى، هي العبودية لله الواحد الأحد، لكي تكون حاكمة على تلك الدوائر circles كلها، صابغة إياها بصبغة الإسلام، لأنه اساس هويتها، مما يجعل تلك الدوائر متناغمة فيما بينها. وحيث إن الانتماء إلى الأوطان وحبها لا يتعارض مع حب الدين، فهو غريزة وفطرة، كون الإنسان يحب وطنة الذى نشأ فية وله فية ذكريات [1] على الآ يتعارض حب الوطن مع مراد "الله الواحد الاحد" .

ولايمنع الإسلام من أن يحب المسلمُ بلدَه ووطنه الذي عاش فيه وتربى، لكن لا ينبغي أن يكون سبب الموالاة والمعاداة هو الانتماء إلى الوطن أو عدم الانتماء له، بل الولاء والبراء، والحب والبغض ميزانها جميعاً الإسلام والتقوى.

---

(١) والشاعر العباسى ابن الرّومى كتب قصيده لسليمان بن عبد الله بن طاهر يستعديه على رجل من التّجّار، يعرف بابن أبى كامل، أجبره على بيع داره واغتصبه بعض جدرها، بقوله:

ولى وطن آليت ألّا أبيعه ... وألّا أرى غيرى له الدهر مالكا

عهدت به شرخ الشباب ونعمة ... كنعمة قوم أصبحوا فى ظلالكا

وحبّب أوطان الرجال إليهم ... مآرب قضّاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهم ... عهود الصّبا فيها فحنّوا لذلكا

فقد ألفته النفس حتى كأنه ... لها جسد إن بان غودر هالكا.

وقال في موضع آخر يتشوّق إلى بغداد، وقد طال مقامه بسرّ من رأى:

بلد صحبت به الشبيبة والصبا ... ولبست ثوب العيش وهو جديد

فإذا تمثل فى الضمير رأيته ... وعليه أغصان الشباب تميد(زهرة الأداب وثمر الالباب ،لأبى إسحاق الحصرى (ج٣ص٧٣٧)دار الجيل-بيروت

فالنبي ﷺ كان يحب مكة لأنها أحب البلاد إلى الله، ولم يكن ليحب كفارها، بل قاتلهم لما حاربوا الدين وقاتلوا المسلمين، ولم يكن هو ولا أصحابه ليقدموا حبهم لمكة على شرع الله تعالى وهويتهم الاسلامية، فلما حرَّم الله تعالى على المهاجرين من مكة الرجوع إليها، بعد هجرتهم منها إلا للمناسك وثلاثة أيام، بعدها التزموا هذا، ولم يمكثوا فيها أكثر من تلك المدة، فلم يكن حبهم لمكة ليجعلهم يعصون الله تعالى، فضلاً عن وقوعهم فيما هو أشد من ذلك. وبالرغم من حبَّ الرسول ﷺ لمكة المكرمة، إلا أنه قدَّم طاعة ربه على حبه لها.

والجانب السياسى فى الإسلام جزء من المنهج الإسلامى المتكامل، فالإسلام نظام شامل يتناول كل مظاهر الحياة سواء كانت هذة المظاهر سياسية أو إجتماعية أوإقتصادية أوثقافية٠٠٠٠الخ، فالإسلام ليس مجرد مجموعة من الأفكار والشعائر، وإنما هو إلى جانب ذلك نظام له حاكمية كاملة على كل مظاهر النشاط الإنسانى فى الفكر والإعتقاد والتصرف والسلوك والحكم والسياسة والتربية والإجتماع ، بل إن كل ذلك يحكم الصلة والإرتباط بين الدين والدولة إرتباط القاعدة بالبناء إذ لاحياة ولابقاء لأى وجود منظم ولا إستمرار للقيم والعقيدة والأخلاق والفضائل بدون وجود السلطة السياسية.

والفقة السياسى مرتبط بالشرع أوثق إرتباط، لأنه يؤدى مهمتة فى سياق المهمة الحضارية للفقة الإسلامى عامة من حيث إطلاق قدرة العقل المسلم على الإستجابة المرنة لمستجدات الوقائع فى إطار النصوص المنزلة، لأنة فقة غير منفلت من كل عقال، ويؤدى مهمتة ملتزما بأداء الرسالة حريصا على ألا يكون بعيد عما يخرجه من سياقها، وهو فقة واسع الأفاق متعدد الضرورات. له قدرة على التصدى بكل ما له صلة بالنشاط السياسى للإنسان فردا مستقلا بذاتة أوعضوا فى جماعة أومواطنا فى دولته، أو أجنبيا فى دولة أحرى غيرها، وهوفقة غير خيالى لأن إرتباطة بالشرع يرد كل تجريد للمثل وينظر إلى واقعية الشرع التى لا تعنيها هذة المثل إلا بقدرمعايشتها لأحوال الناس ومصالحهموهو فقة لا يقبل التلون بالمذاهب والمعتقدات سواء من داخل المسلمين أنفسهم أو من خارجهم، فليس كل فقة سياسى اتخذ الإسلام شعارا هو بالضرورة فقة إسلامى، ما لم ينق ذاته، ويصن وعاءه الإسلامى من مفاسد هذة المذاهب وتلك المعتقدات .

إن مشكلة المسلمين –في هذا العصر–إنهم يتعاملون مع قضايا الحياة لا من خلال قيم دينهم مباشرة، ولا من خلال مصالحهم المستقلة، وإنما من خلال التفاعل مع حضارة الآخر إما

استلاباً لمعطياته الحضارية، أو مخالفة لها ورفضاً، بذريعة العداء التاريخي مع هذا الآخر، أو الاختلاف الديني معه.

وقضية المواطنة من هذه القضايا، فقد غالى بعضهم في الانفعال بها في منطلقاتها الفكرية التي تجعل محور الولاء هو الوطن بديلاً عن الدين باسم (المواطنة) وضاد ذلك آخرون فحاربوها باسم الإسلام. هذا في الجانب الفكري. أما الجانب العملي: فإن تعامل كثير من المؤسسات المعنية بها، لم يكن بالجدية المفترضة بشأنها، ولا ينفي ذلك وجود اهتمام ببعض الأشياء الجانبية، كالنشيد الوطني، وتحية العلم، وإحياء التراث الشعبي الوطني، إنما المقصود أن الانتماء والمواطنة للوطن بصورته الحضارية حقوقاً وواجبات، وحفظاً للدولة في ثوبها الحديث، واحتراماً للنظام، وإعلاء راية الهوية لم يأخذ حقه المطلوب، ولم يؤصل في النفوس، مما جعل الولاء للوطن مجالاً للمساومة أمام –مقترحات–الأيدلوجيات المنطلقة من خارج الوطن.

كما إن الإسلام متهم كما هو دائماً ضمن السياق ذاته بأنه يجعل المسلم في مكانة أعلى من غيره، ويجعل الأخير دائماً مواطناً من الدرجة الثانية أو الثالثة ويحرمه من بعض حقوقه ويمنعه من استعمال بعض مكناته الاجتماعية باعتبار إنه يدخل في إطار ما يسمى بـ (أهل الذمة).

والمواطنة لفظة مترجمة، وأى مفهوم هو نتاج البيئة التاريخية والإجتماعية المحيطة به، لذا فإن المفاهيم تختلف من محيط لآخر ومن سياق لآخر، لذلك فإن مفهوم المواطنة يكتسب اهمية خاصة، لأنة يعتبر مؤشرا ومعبرا عن الحقوق المدنية والسياسية لأفراد أى مجتمع، وهو يمثل الرابطة السياسية الوثيقة بين الفرد والدولة.

فإذا أردنا بناء موطنة وعدالة مجتمعية سويه مرتكزة على قيم الإسلام وهويته التي تتنفسها المجتمعات العربية خاصة والمجتمعات الإسلامية عامة، وتتجاوب مع امتداداتها ؟، فما التأسيس الفكري لها، وما المنحى التطبيقي لها؟، صفحات هذه البحث تسعي نحو تلكما الغاية {بفضل الله ورحمته} لإعادة تنميةالوعي بأهمية دورها وفاعليته في بناء تجربة سياسية واعدة.

قضية المصطلح

لقد أثار مصطلح المواطنة، ما لم يثره أي موضوع أخر خلال السنوات الأخيرة، ولا جدال، في أن كل جانب من جوانب الانتماء للوطن، لا يخلو بحثه من الأهمية بمكان، وتزداد أهميته، كلما تعلق البحث بالوطن والهوية، ومدى الارتباط بين الانتماء والتمتع بالحقوق والحريات العامة من ناحية، أو بالسلطة العامة من ناحية أخرى، أو بهما معاً من ناحية ثالثة. وتضحي هذه الأهمية حتمية، إذا كان موضوع الدراسة أو البحث، لم يسبق بحثه من قبل، بالمفهوم الكامل من كل الاركان والارتباط بالدين، إلا بالنذر اليسير، كما أنه لم يبحث بصفة خاصة من ناحية اسلامية وهذه الأسباب لم تجتمع بقدر اجتماعها بصدد بحث موضوع المواطنة.

لذا "فالمواطنة " و"الوطن" لفظتان مرتبطتان في الجذر اللغوي، وفي الدلالة الوطنية تعني بحسب لفظهما، نزوعاً وانتسابياً إلى المكان الذي يستوطنه الإنسان، مثلما هو جار بالنسبة للأديان، أو للجماعة البشرية، وكان هذا النزوع موجوداً لدى العرب منذ القدم، وهو نزوع عاطفي، برز في شعرهم تغنياً بحب الأوطان، وحنيناً إليها عند البعد عنها. فالمساهمة في ترسيخ مبدأ المواطنة والانتماء للوطن، عن طريق الأسلوب المؤثر، واللفظ المعبر الموحي، والتعبير الراقي؛ الذي يمس مناطق الإحساس والشعور، والعقل والفكر معاً. واعتقد أن الإبداع قادر على إيقاظ العاطفة الوطنية تحت سماء الهوية الاسلامية، وإشاعة الحركة فيها، مما يرشحه لأن يكون من عوامل بعث الحسّ الوطني، وبخاصة إذا أبرز هذا الشعر ووظف توظيفاً ملائماً.

والعرب ينتسبون إلى أوطانهم، فهذا نجدي وذاك حجازي وآخر تهامي، ثم كان بعد ذلك الشامي والعراقي والمصري، والهوية للجميع اسلامية وسطية على منهج اهل السنة والجماعة، وقد يتفاخرون فيما بينهم بحب أوطانهم، التي اعزها الله بالإسلام خاتم الأديان.

وعلى كل فإن فالمواطنة تحت سماء الهوية، هنا ليست مجرد ذلك النزوع الشعوري، ولكنها نزعة لها مبادئها العامة وطقوسها السلوكية التي يزرعها أصل هذه النزعة في النفوس، وينشئون عليها ناشئتهم، ويحاكمون إليها مواقف أتباعهم، وينظرون إلى الآخرين من خلالها.

والمواطنة بهذه الصفة ليست حديثة، فقد وجدت في المجتمعات القديمة، ومن أشهر صورها المواطنة اليونانية، ثم المواطنة الرومانية التي كانت تنظر للشعوب الأخرى المنضوية تحت ظل الدولة

الرومانية بصفتهم –عبيداً–تابعين للوطن الأم، لا يقبل من هؤلاء الأتباع الانصهار في بوتقته، كما حصل مثل الاندماج في الحضارة الإسلامية، ولقد تجلت النزعة الوطنية متناسقة مع القومية في أوربا الحديثة، نتيجة البعث من الإمبراطورية الجامعة التي كان رباطها الجامع بين الأوربيين هو المسيحية التي دخلت إليها في القرن الثاني الميلادي. وهذا البعث بدأ بالملوك ثم برجال الدين، فيما عرف – بالحركات الإصلاحية–حيث تقسمت القارة الأوربية، كما يقول الندوي[1] رحمه الله إلى إمارات شعبية مختلفة.

وأصبحت منازعاتها ومنافستها خطراً خالداً على أمن العالم[2].

وهذه الوطنيات القومية، أو القوميات الوطنية، سعت كل منها من أجل تقوية نفسها، وشحن شعور الأتباع بروح التضحية لها، إلى تعميق الروح الوطنية بإحلالها بصفتها ديناً له قداسته محل المشاعر الدينية المسيحية، حتى أصبح الدين والوطنية "كفتي ميزان" كلما رجحت واحدة طاشت الأخرى، وقد ظلت العصبية الوطنية –كما يقول (إدوراد لوتين) – " تقوى وفي المقابل تخف كفة الدين كل يوم "، ووضعت الوطنيات على مرور الزمن مراسم لتحقيق ذلك، وتضاهي المراسم الدينية.

هذه الوطنية: هي "الرحم" الذي أنجب الوطن، الذي يمثل ملتقى الجميع، حكاما ومحكومين، من حيث تبادل الحقوق والواجبات، بناءً على الرابطة الوطنية تحت سماء الهوية، من اجل ترسيخ السلم والأمن.

لقد شهدت العقود الأخيرة من القرن الماضي، أحداثاً متلاحقة وتطورات سريعة، جعلت عملية التغيير أمراً حتمياً في معظم دول العالم عامة، وفي عالمنا العربي والإسلامي خاصة، وقد انتاب القلق بعض المجتمعات من هذا التغير السريع، ومنها العربية والإسلامية التي تخشى أن تؤدي هذه التحولات الاجتماعية المتلاطمة مثل تلاطم أمواج البحر، والمرتبطة بالتطور EVOLUTION العلمي

---

(١) أبو الحسن الندوي: علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما. كان والده علامة الهند ومؤرخها، ولد بقرية «تكية» بمديرية «راي بريلي» في الولاية الشمالية بالهند ٣١كانون الأول / ديسمبر ١٩٩٩م في ٦ محرم ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٤ م. وكانت وفاته – رحمه الله – يوم الجمعة ٢٣رمضان ١٤٢٠هـ ." نقلا عن: موقع رابطة الأدب الإسلامي العالمية على الإنترنت http://www.adabislami.org

(٢) ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين ص١٧٤ الناشر مكتبة الإيمان المنصورة–مصر

السريع، إلى التأثير على "عقيدتها الاسلامية" و"قيمها الانسانية" "ومبادئها الاخلاقية" "وعاداتها العربية" "وتقاليدها الأصيلة، بفعل الهالة الإعلامية الغربية والسموات المفتوحة، والسرطان الهمجي المتمثل في – الفكر الصهيوني– صاحب –الميديا– الإعلامية، الذي يريد إفساد الدين كما افسد التوراة والإنجيل .

والمفهوم الحديث للمواطنة، يعتمد على الاتفاق الجماعي القائم على أساس التفاهم من أجل تحقيق ضمان الحقوق RIGHTS الفردية والجماعية، كما أن المواطنة في الأساس شعور وجداني يكون مرتبطا بالأرض وبأفراد المجتمع الآخرين الساكنين على الأرض.

والمواطنة لا تتناقض مع الهوية الإسلامية، لأنها عبارة عن رابطة بين أفراد يعيشون في زمان ومكان معين، أي بقعة محددة، تجمع بينهم المصالح المشروعة شرعا، والعلاقات الدينية تحت رداء الهوية الاسلامية.

وتعد المواطنة من القضايا القديمة المتجددة، التي ما تلبث أن تفرض نفسها عند معالجة أي بُعد من أبعاد التنمية بالمفهوم الإنساني الشامل بصفة خاصة، ومشاريع الإصلاح والتطوير بصفة عامة في البلدان العربية والإسلامية، ويفسر ذلك ما تناله المواطنة من اهتمام على المسارات التالية:

– تشريعياً: حيث تتضمن دساتير جميع دول العالم تقنيناً لحقوق المواطن وواجباته، بما لا يتعارض مع الاصول الاسلامية.

– تربوياً: حيث نُظم التنشئة التي تسعى إلى تكريس وعي الانتماء قيماً وممارسات لدى –النشء–من أجل تحقق الاندماج الوطني عن طريق تحقيق االمواطنة الصالحة فكراً وفعلاً، تتغذي على روافد الهوية الاسلامية الوسطية، لا شرقية ولا غربية.

– سياسياً: في صورة بُني وآليات مؤسساتية، تستوعب مشاركة أفراد المجتمع في بُنيان الدولة الوطنية الحديثة، وفي هذا السياق احتلت هذه –النظرية–مساحة كبيرة في الدراسات السياسية والاجتماعية والتربوية، وتعددت أبعاد المواطنة في علاقاتها الممتدة عبر قضايا تتمحور في علاقة الفرد بالمجتمع والدولة، من خلال أُطر قانونية منظمة للحقوق والواجبات، ومبينة مواصفات المواطن، وأبعاد المواطنة والانتماء للوطن حسب المنابع الفكرية للدولة، ومرجعية نظرياتها السياسية، وأنتجت أطروحات الفكر

في مختلف دول العالم، العديد من الرؤى الفكرية حول مفهوم الانتماء للوطن ومبادئه – حقوقه وواجباته، تنوعت بتنوع مبادئ الفكر ونظرياته السياسة، تبعا لتنوع المناهج .

في العالم العربي الاسلامي: اختلفت أطياف الفكر كذلك ليس فقط حسب الاختلاف المنهجي القُطري، بل أيضاً في داخل القُطر الواحد باختلاف الأيديولوجيات التي تعاقبت بتعاقب مراحل الحكم وإدارة الدولة في الحقب الزمنية المختلفة(وخير مثال علي ذلك النموذج المصري، الحقبة الناصرية، والحقبة التي أتت بعدها)، مما أوجد أنماطاً متعددة من الوعي لدى الشعوب العربية، تداخلت أحياناً وتصادمت أحيانا ًأخرى، وأثرت على دوائرالمواطنة، مما أدى إلى العديد من الانعكاسات السلبية على مبدأ الانتماء للوطن ذاته فضلاً عن الممارسات من قبل الأفراد والمؤسسات والحكومات.

ومع تغير طبيعة العالم المعاصر من حيث موازين القوى، وسيطرة القطب الواحد، وظهور التكتلات السياسية والاقتصادية، وتنامي البُني الاجتماعية الحاضنة للفكر الليبرالي، وعبوره للحدود الجغرافية والسياسية على الجسور التي مدتها تكنولوجيا الاتصال، والتركيز على خيارات الفرد المطلقة كمرجع للخيارات الحياتية والسياسيةواليومية، في دوائر العمل والمجتمع الوطني والمجال العام مع هذه التغيرات العامة، بالإضافة إلى التغيرات الخاصة التي تحيط بالعرب والمسلمين، شهد مفهوم "المواطنة " تبدلاً واضحاً في مضمونه واستخداماته ودلالاته، والوعي الفردي بمبادئه، وما يرتبط به من قيم وسلوكيات، تمثل معول هدم أو بناء لواجهة المجتمع وهيكل الدولة .

وعلى رغم ما يفرد به مفهوم "المواطنة" وما يتداخل معه من مفاهيم من خصوصية في المرجعية وآليات التشكيل والبناء والممارسة، إلا أنه على مدى السنوات القليلة الماضية، شهدت تحدياً جديداً يتمثل في عملية "الانفتاح الثقافي" الذي تعددت آلياته ووسائله، لتخاطب الشباب عن بعد، وتقدم العديد من التفسيرات والتأويلات المنحرفة أو الملتوية للأحداث الإقليمية والدولية، وتسلط الضوء على قضايا مجتمعية، تمس جوهر هذا المفهوم لدى الفرد العربي خاصاً والإسلامي عاماً، وتعرض إطاراً مغلفاً بشعارات تأخذ بالمشاعر، وتؤثر على مسارب تفكير العقول خاصة لدى فئة الشباب، ومن هم في سن القابلية للاحتواء أو الاختطاف الفكري والثقافي، بحكم خصائص المرحلة العُمرية التي يعيشونها، ويثير ذلك جدلاً في الأوساط السياسية والدينية والتربوية، حول مدى تأثر مفهوم المواطنة والانتماء للوطن لدى الشباب بهذه الأفكار التي يحملها –الأثير– عبر الحدود، ودور مؤسسات

المجتمع في الحفاظ على البنية السليمة لوعي المواطن وممارسته للوطنية، ومن ثم تتضح مشكلة الدراسة وتساؤلاتها .

ويمرُّ كثير من النُّخب المثقفة في عالمنا الإسلامي بشقَّيه العربي والعجمي منذ عقود بإشكالية فكرية حادة، وحالة انهزامية نفسية واضحة، أمام كثير من المصطلحات الوافدة من العالم الغربي (المتقدِّم تقنياً)، ويتمثل ذلك في قبول تلك المصطلحات، والترويج لها، والدعوة إلى تعميمها، لتسود مناخنا الفكري والثقافي، ومهاجمة من يقف في الاتجاه المعاكس، مثل الساكت الذي لا يُظهِر موافقة ومشايعة، ويشاركهم في هذا الكثير والكثير، ويزيدون عليهم، بمحاولة إضفاء مسحة أو شكل إسلامي على تلك المصطلحات، بأساليب غريبة وبعيدة عن أساليب أهل العلم، ومجافية لأصول الاستدلال المستقرة لدى العلماء، فيتسوَّلون الدلالات ويستنطقون النصوص باستكراهها ليزرعوا هذه المصطلحات، و يستنبتوا بها في بنية المنظومة الثقافية الإسلامية، يفعلون ذلك مع أكثر المصطلحات القادمة من وراء البحار، وكأن دَوْر الإسلام مع هذه المصطلحات، الشهادة لها بالسبق والتصديق عليها بالصواب، وستر الهوية الاسلامية.

فمنذ عقود طويلة استُقدم كثير من المصطلحات، كالاشتراكيةوالعَلْمانية وتحرير المرأة والرأسمالية والديمقراطية والمعارضة والأحزاب السياسية والليبرالية والدولة المدنية وغير ذلك الكثير والكثير الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، وقد تبين فساد مدلولات بعض تلك المصطلحات بعد فترة من الزمن، رغم الوهج الإعلامي عبر (المديا الإعلامية) الذي كانت تتمتع به عند ظهورها، وما زالت هناك مصطلحات لها وجود وحضور وتأثير في الواقع، رغم عدم صلاحيتها ومخالفتها للشرع الحنيف، وقد تعرض الفقهاء في مرات سابقة لمدلولات بعض هذه المصطلحات، كالديمقراطية والعَلْمانية والمعارضة والدولة المدنية والمشاركة في البرلمان وغير ذلك، وبيَّنت بعض مخالفاتها للشريعة، والمُقام هنا ليس مجالا لغوص في بحور هذه المصطلحات. ومصطلح "المواطنة " الذي كثُر تداوله هذه الأيام، وأصبح له وجود فاعل وتأثير واضح في القوانين والفكر والثقافة والمجتمع، وإن كان هذا المصطلح بدأ في التعرُّض إلى الاهتزاز فيما يشبه الأزمة، وذلك بفعل تأثيرات العولمة الملغية لتأثيرات الحدود (الجغرافيا) ولخصوصيات المجتمعات (الثقافة والفكر والعادات) والتي تستهدف إلغاء الحاجز الوطني أو كسره.

أسباب إختيار الموضوع

١. الفهم الخاطئ لبعض ما جاء فى تراثنا الفقهى من أحكام فى مجال السياسة الشرعيةأدى إلى ظهور بعض إتجاهات الغلو، وإنتشار الفتاوى الخاطئة التى كانت سببا فى دمار كثير من البلاد وشتاتها، وهذا ظاهر بوضوح فى أيامنا هذه.
٢. تعامل بعض المسلمين مع بعض قضايا الحياة من خلال التفاعل مع حضارة الآخر إما أخذ لمعطياتة الحضارية كاملة دون تمحيص، أومخالفة لها ورفضا، بذريعة العداء التاريخى، أو الإختلاف الدينى معة، وقضية المواطنة من هذة القضايا فجاءت هذة الدراسة مداخلة فى هذا الشأن الهام لتوضيح وإظهار رأى الفقة الإسلامى فى هذة القضية التى تباد بإسمها دول الآن.
٣. النزاعات الطائفية التى ملأت بلاد المسلمين، هذة النزاعات سببها الرئيس: الإنتماء العرقى أو المذهبى أو الدينى، مما جعل البلاد فى فرقة وتأخر، ولاسيما الإسلامية منها، وأثر ذلك فى مسيرة التنمية فى بلاد المسلمين، مما يمكن الجزم به انة لا مخرج من هذة الفتن إلا بقيمة تجمع بين الثقافات المختلفة والإنتماءات المتعددة ألا وهي قيمة المواطنة الإسلامية.
٤. تحديد أهم المتغيرات العالمية المعاصرة التي انعكست على مفهوم المواطنة، وتقديم رؤية مقترحة حول آفاق الإعداد التربوي، وبناء أُسس المواطنة، ودور المؤسسات التربوية. وإستخلاص أهم أُسس المواطنة بمفهومها العصري
٥. أردت من خلال البحث الرد على من زعم من المفكرين الأجانب[١] ومن سار على نهجهم من المفكرين العرب والمسلمين[٢] من أن مفهوم المواطنة غريب عن الإسلام نظرا لعدم وجود مثل هذا المصطلح فى الأدبيات الإسلامية، وذلك فى رأيى يرجع إلى أنهم يلتمسون

---

(١) مثل برنارد لويس الذي يرى أنة لا توجد كلمة"مواطن فى اللغات العربية والفارسية والتركية، وإنما يوجد مصطلح مقابل لها يستخدم فى كل منها بمعنى ابن البلد وهي كلمة تخرج بدرجة كبيرة من أى مضامين أو إيحات للكلمة الغربية التى تنحدر من أصول لاتينية وإغرقية، بمعنى الفرد الذي يشارك فى الشئون العامة (المدنية) ويرجح لويس الغياب للكلمة فى اللغة العربية واللغات الاخرى إلى غياب فكرة المواطن كمشارك وفكرة المواطنة كعملية مشاركة.

(٢) مثل محمد أركون فى بحثه"الدين والديمقراطية" حيث يرى أن مفهوم الجماعة السياسية فى الإسلام يخلو من أى محاولة لتطوير سياق للمواطنة، كشرط ضرورى ليس لنشوء حكم القانون فحسب، بل لظهور المجتمع المدنى الذي يستطيع السيطرة على سلطات الدولة. وكذلك سمير آمين فى بحثه ملاحظات حول منهج الديمقراطية فى الوطن

تطابق مفهوم المواطنة فى صياغتة الغربية مع مفهومة فى الإسلام رسما، وليس معنى وجوهر

٦. التأصيل الشرعى والنظرى لمفهوم المواطنة من خلال ما تحويه المراجع الإسلامية والفقهية خاصة حول القضايا السياسية الجديدة، بالنظر فى مناط الأحكام وربطها بالواقع، فذلك هو عين موضوع التجديد المطروح على الساحة الفكرية، والبعد عن الجمود الفكرى المتراكم عند البعض، فجاءت هذة الدراسة مساهمة بسيطة فى هذا الميدان

٧. أردت من خلال البحث أيضا مناقشة موضوع المواطنة من منظور فقهى إسلامى، مما يضفي على مواطنة الإسلام أهمية خاصة، لأن لها جانبا تعبديا فى نفوس المسلمين، فالمسلم وقاف عند حدود الله، ولا شك أن النتيجه ستختلف عما إذا نوقش الأمر من خلال مرجعية أخرى.

وما سبق عرضه من أسباب لإختيار قضية الدراسة يعطى الموضوع أهمية، لأنة يرصد الأحكام الخاصة بقضية من أهم قضايا العصر، فهى من أبرز القضايا المطروحة فى الجدل والحوار السياسى فى مجتماعتنا فى هذة الأيام، فلا يمكن ممارسة حقوق المواطنة أو واجباتها بدون رسوخ ثقافة المواطنة فى الوعى الإجتماعى العام، ومن المؤكد أن عملية بناء هذا الوعى العام بحقوق وواجبات المواطنة تتطلب فهم حقيقة هذا المجتمع، وغير خفى أن للشريعة قداسة فى نفوس الناس، فمناقشة القضية من المنظور الإسلامى يجعل الأمر دين، يحرص المسلم عليه.

تساؤلات البحث:

يمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤل الرئيسي التالي: إلى أي مدى أثر الانفتاح الثقافي عبر السماء الاعلامية المفتوحة (المديا الاعلامية)، على مفهوم وأبعاد المواطنة ؟. ويتفرع من هذا التساؤل الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية:

– هل يوجد تعارض بين الدين والمواطنة من جانب العقيدة؟

– ما هو مفهوم االمواطنة وما أهم المتغيرات العالمية المؤثرة على أبعاده ؟.

العربى يعتقد"أن المساواة القانونية لم تكن سمة من سمات الأنظمة التقليدية العربية أو الشرقية. (المواطنة والعولمة فى زمن متغير، ص١٣٦، د.قايد دياب.

– ما مدى الوعي بأبعاد المواطنة (الهوية، والانتماء، والتعددية، وقبول الآخر، والمشاركة)؟ .

– كيف يمكن تفعيل مبدأ المواطنة لمواجهة تحديات العصر، والأزمات الثقافية الكبري ؟ .

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من طبيعة الموضوع الذي يتناوله، حيث تعد قضية المواطنة من القضايا ذات الأبعاد السياسية والأمنية، التي تعبر عن معايير الانتماء ومستوى المشاركة من قبل الأفراد في الحماية والذود عن الوطن، وتحقيق السلم والآمن المجتمعي، كما تعبر عن وعي الفرد بالحقوق RIGHTS والواجبات والنظر للآخر، وصيانة الحياة العامة، والحرص على المصلحة الوطنية، كما تعكس مدى إدراكه كمواطن لدوره في مجابهة التحديات التي تواجه المجتمع والدولة في آن واحد، تحت راية الهوية الاسلامية.

وتتضح أهمية الدراسة أيضاً، من خلال ما تسعى إليه من استكشاف طبيعة وعي المجتمع بأبعاد المواطنة وتحديد الفروق ذات الدلالة الإحصائية حسب المتغيرات المختلفة، وتكتسب الدراسة أهمية خاصة من خلال ما تطرحه من مقترحات لتفعيل المواطنة في ظل المتغيرات التي يشهدها المحيط العالمي والمجتمع المحلي، وخصوصا مع الغربة التي امست –تحفر–في النسيج المجتمعي.

الدراسات السابقة:

تتمثل أهم الدراسات السابقة ذات العلاقة المباشرة بالبحث فيما يلي:

تناول عدد من الباحثين قضية المواطنة بالدراسة والبحث، فمنهم من تناولها من الجانب السياسى فقط، ومنهم من تناولها من الجانب الإجتماعى أو الفكري الفلسفى، وأغلب ما كتب فى الموضوع كان يتعلق "بحقوق غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى"وغالبا لم تكن مبوبة ولا مرتبا ترتيبا علميا، فأليت على نفسى معالجة هذة القضية من منظور فقهى قانونى، وهذا ما يجعل البحث يأخذا جانب مختلف فى معالجة موضوع المواطنة، فقد إقتصر بعض الدارسين عند بحثهم فى مسألة المواطنة على حقوق الأقليات غير المسلمة، أو مواطنة الأقليات المسلمة فى غير ديار الإسلام، أو أحكام الذميين والمستأمنين فى دار الإسلام للدكتور عبد الكريم زيدان، أواختلاف الدارين وأثاره فى أحكام الشريعة للدكتور/عبد العزيز مبروك الأحمدى

التعليق على الدراسات السابقة: يتضح من العرض السابق لبعض الدراسات ما يلي:

- أن الدراسات العربية، ما زالت في حيز التركيز على الإطار الفكري، وفي حين كان يجب عليها التركيز على الآليات الفعلية الهادفة إلى نشر وتنمية ثقافة مفهوم المواطنة، وزيادة الوعي بشروطه "والحقوق Rights والواجبات" التي يحددها القانون، وزيادة دور التعليم في دعمه وتعزيزه من خلال برامج تخضع للفحص والتقويم بشكل مرحلي.
- أن نتائج الدراسات العربية، تؤكد أن البيئة العربية ما زالت تشهد خلطاً وغموضاً في أبعاد مفهوم المواطنة على مستوى الخطاب السياسي بأطروحاته المتعددة، وأن هناك تذبذب في الموقف بالنسبة لوعي الأفراد بمفهوم المواطنة، وممارساتهم الحياتية من ترسيخ مفهوم العيش المشترك، خاصة في عصر الانفتاح الثقافي والعولمة ؟.
- على الرغم من زيادة الدراسات الحالية، التي تجول في سماء الانتماء للوطن وبعد مفهوم المواطنة، إلا أنه يجب علينا الاستفادة من الدراسات السابقة، سواء العربية والإسلامية والغربية، من أجل تفعيل الاهتمام بمفهوم المواطنة.
- أن الدراسات الحالية يجب أن تسعى إلى رصد أهم المتغيرات العالمية المعاصرة وانعكاساتها على مفهوم المواطنة من جهة، ومن جهة أخرى محاولة استكشاف أثر الانفتاح المواطني علي المجتمعات العربية والإسلامية، الذي باتت معالمه واضحة في جميع الدول العربية.
- ضعف المحاولات التي تؤدي إلي زيادة وعي المواطنين بمفهوم المواطنة، خاصة أن مجمل المعطيات السياسية والثقافية المصاحبة للعولمة، تركز بشكل واضح على العديد من الأبعاد(الهوية والانتماء والتعددية والحرية والمشاركة السياسية) من خلال برامج إعلامية، موجهة ومكثفة تهدف من خلالها إلى خلخلة ما استقر في ضمير المجتمعات، ويقينهم من مبادئ تحكم رؤيتهم لعلاقة الفرد بالدولة ونظرتهم للحكومات، ولذا فقد قصدنا إلى استخدام نفس المصطلحات التي تلمع في فضاء الإعلام(المديا الاعلامية) وتستخدمها البرامج والكتابات، التي تصل إلى المواطن من خلال النوافذ الثقافية المشرعة في عصر العولمة، من اجل تحقيق السلم المجتمعي .

- يُلحظ أن الدراسات التي أجريت في البيئات العربية، قد عبّرت – في تناولها لموضوع المواطنة – عن واقع ثقافي خاص بها، مع وجود مساحة من التأثر بما كتب في البيئات الغربية، وقد حاولت إسقاطه على بيئاتها وبالتالي لم تعالج الموضوع بطريقة شمولية في ضوء معطيات – الفكر التربوي الإسلامي–، ومن ثم جاء مفهوم المواطنة لديها غير واضح، وغير محدد الهوية، باستثناء بعض المقالات التي تناولت فيه جزئيات بسيطة، وبناءً عليه، جاءت هذه –الدراسة– لتضع النقاط على الحروف، في هذا الموضوع الشائك، مما يؤكد على أن موضوع الدراسة، جدير بالتناول في البيئة لدينا بشكل خاص، والتي تفتقر إلى مثل هذه الدراسات، وفي البيئة العربية والإسلامية على وجه العموم .

منهج البحث :

لم ألتزم في بحثى هذا بمنهج معين ، فقد تناولت بحث الموضوع بدون أى تصور سابق أوفكره أراها صوابا أنافح وأدافع عنها وأحاول تأويل النصوص لتوافقها ، ويرجع السبب في ذلك بعد توجيهات أستاذي الدكتور الهادى السعيد عرفة إلى قلة تناول الموضوع من الناحية الشرعية، وكذلك علو كثير من الأصوات التى تعلو بين الفنية والأخرى زاعمة أن الإسلام لا يعرف مفهوم المواطنة ، وأن لفظة المواطنة غريبة عن الفقة الإسلامي ، وقد حاولت أن أعتمد في الإستدلال أولا على نصوص القرآن الكريم، ثم السنة النبوية، ثم الإعتماد على أراء بعض أهل العلم والفقهاء من مختلف المذاهب متوخيا الدقة في الفهم والأمانة في النقل ، فمن بركة العلم أن ينسب إلى أهله، وكذلك الإستعانة ببعض المؤلفات المعاصرة، وربما أعلو بالسند في بعض الأحيان إن استطعت الوصول للمصدر المعزو إليه.

- عزوت الآيات القرآنية إلى موضعها من كتاب الله تعالى، مبينا اسم السورة ورقم الآية.
- تجنبت ذكر الحديث الضعيف–ما استطعت–ولم أورده إلا إذا كان دليلا لمذهب.
- التزمت، تخريج الأحاديث النبوية، فإن كان في الصحيحين أو في أحدهما، اكتفيت بالعزو إلى أحدهما، لتلقى الأمة القبول، وإن تكرر الحديث في صحيح البخاري، اخترت أقرب الألفاظ الدالة على ذلك، وأوردت اسم المصدر ورقم الجزء والصفحة، وربما ذكرت رقم الحديث في بعض الأحيان.

- ما يتعلق بالناحية الشكلية والتنظيمية:

أ-وضعت الآيات القرآنية بين قوسين مميزين وفقا لهذا الشكل ﴿ ﴾

ب-وضعت الأحاديث النبوية بين قوسين وفقا لهذا الشكل(( ))

ج- وضعت نصوص العلماء التى أنقلها بين علامتى التنصيص" "

خطة البحث

وقد تم بحمد الله ترتيب فصول البحث ترتيبا منطقيا، بحيث تكون فصوله وسيلة لبلوغ الغاية منه، ولذا تسلسلت على النحو التالى: مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المقدمة: وقد ذكرت فيها قضية المصطلح، وأسباب اختيار الموضوع، وتساؤلات البحث وأهميتة، والدراسات السابقة، ومنهجى في البحث وخطة البحث.

المبحث الأول: تعريف المواطنة

وينقسم إلى تمهيد ومطلبين:

التمهيد

المطلب الأول: تعريف المواطنة لغة

المطلب الثاني: تعريف المواطنة إصطلاحا

المبحث الثاني: مفهوم المواطنة في المنظور الإسلامي والتأصيل الشرعى لها

وينقسم إلى ثلاثة مطالب

المطلب الأول: التأصيل الشرعى لمفهوم للمواطنة

المطلب الثاني: مفهوم المواطنة في الفقة الإسلامي

المطلب الثالث: تحديد مصطلح المواطنة في الفقة الإسلامى

ثم الخاتمة وثبت بالمراجع والفهارس.

المبحث الأول

تعريف المواطنة

تمهيد:

الشريعة الإسلامية بحمد الله، تقف بجانب الانتماء للوطن، وتعلي من شأنه، بما يدل ضمناً على مرتبة من المشاركة الايجابية التي حث عليها الإسلام خاتم الأديان، لان كل ذلك يطوف حول محراب الهوية الاسلامية، ومع ما يصاحبه من مسؤوليات، وهي على وجه العموم تسبغ على المواطن حقوقاً سياسية، مثل حق المشاركة (مجالس الشورى أو المجالس النيابية) وتولي المناصب العامة" [١] لان الانتماء أو الوطنية أو المواطنة(citizenship) "علاقة بين المواطن والدولة ، كما يحددها النظام القانوني لتلك الدولة ، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الديار. [٢]

والشعور بالمواطنة(citizenship)، من أهم الدعائم المجتمعية الاسلامية، والتي تحافظ على استقرار الوطن، وهو يشير إلى مدى شعور أفراد المجتمع بالانتماء إلى مجتمعهم، ويمكن أن

---

(١) مفهوم المواطنة فى النظام الديمقراطى ليث زيدان، موقع الحوار المتمدن،العدد ١٩٣٢،مقال منشور ٢٠٠٧/٥/٣١

(٢) قرار ١٦/٤ الصادر عن المجلس الأوربى للإفتاء والبحوث فى البيان الختامى للدورةالسادسة عشر المنعقدة فى مدينة " استانبول في تركيا في الفترة من: ٧-١٣جماد الآخرة١٤٢٧هـ الموافق لـ ٣-٩ تموز (يوليو) ٢٠٠٦م "بشأن المواءمة بين التقيد بالثوابت وبين مقتضيات المواطنة"

اطلع المجلس على القرار رقم ١٥٥ (١٧/٤) المتصل بهذا الموضوع، والصادر عن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورته السابعة عشرة، ومما جاء في نص القرار ويؤكد عليه المجلس ما يلي:

"يقصد بالمواطنة: الانتماء إلى دولة معينة أرضاً وواقعاً، وحمل جنسيتها. ويقصد بالثوابت الإسلامية: الأحكام الشرعية الاعتقادية والعملية والأخلاقية التي جاءت بها النصوص الشرعية القطعية، أو أجمعت عليها الأمة الإسلامية، ويشمل ذلك ما يتعلق بحفظ الضروريات الخمس، وهي: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال".

ومشروعية "إسهام المسلمين في غير الدول الإسلامية في الأنشطة الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية، التي لا تتعارض مع الثوابت المتقدمة، ولا سيما إذا اقتضت المواطنة ذلك، شريطة ألا تهدد هويتهم وشخصيتهم الإسلامية".

وأن "لا يصار في الفتاوى إلى مبدأ الاستثناء بشأن المسلمين في غير الدول الإسلامية، إلا عند تحقق موجبات الضرورة، أو الحاجة، مع الالتزام بالتقدير بقدرهما".(موقع المجلس الأوربى للإفتاء والبحوث.

نستدل على ذلك من خلال المشاركة الإيجابية في أنشطة المجتمع، الدفاع عن مصالح المجتمع، الشعور بالفخر والاعتزاز بالانتماء للمجتمع، المحافظة على ممتلكاته، والفخر بهويته الاسلامية، وكل هذه –المؤشرات–يمكن أن تقاس ويستدل عليها، بالمجتمع الذي يتحقق فيه السلم والآمن المجتمعي. فأساس المواطنة هو مشاركة سكان المجتمع، وحث الآخرين على التعاون معهم لمواجهة المشكلات، ووضع –البرامج–المناسبة لمواجهتها، والوقوف معا ضد أي غزو عقائدي او ثقافي من –الشرق الفارسي او من الغرب الصهيوني.

يعد مفهوم المواطنة، واحداً من أهم المفاهيم المركزية التي تحدد طبيعة علاقة الفرد بالجماعة في كل زمان ومكان، يقابله على الضد تماماً مفهوم –الاغتراب–الذي يعني الابتعاد النفسي للفرد عن ذاته وعن جماعته. وسواء ابتعد الفرد عن جماعته أو غادرها إلى جماعة أخرى، فهو في كلتا الحالتين إنما يفقد انتماءه لجماعته من جانب، ويواجه برفض الجماعة الأخرى له من جانب آخر لاختلاف عاداته وقيمه ونمط شخصيته وخبراته مما يسبب غربته من ناحية وعدم انتمائه لمجتمعه من ناحية أخرى، وهناك حقيقة أن البشر كائنات اجتماعية، مخلوقات تتجمع سوياً ويعتمد كل منها على الآخر جسمياً أو نفسياً عبر الحياة. فالعلاقات الوثيقة مع الآخرين تبدو من الضروريات وهي أمور تتكامل مع بقاء الإنسان ورفاهيته، فالبشر قادرون على تقديم كل منهم للآخر أعظم مسرات الحياة وأفراحها وكذلك أحزانها العميقة، كما يمكنهم إعطاء نوع من التعاطف، والتأكيد والحماية من الأخطار، وبالتالي فان حاجة الفرد للآخرين تكمن في مساعدته على حل مشاكله وإرضاء حاجاته التي لا يستطيع حلها وإرضاءها بمجهوده الخاص فيشعره بالأمن ويزيدوا من احترامه لنفسه.

وتبرز أهمية المواطنة على المستوى الاجتماعي، فهو العماد الفقري للجماعة، وبدونه تفقد الجماعة تماسكها، وتماسك الجماعة هو انجذاب الأعضاء لها، والذي يتوقف على مدى تحقيق الجماعة لحاجات أفرادها المشروعة شرعا، فطالما أن الجماعة تحقق حاجات الفرد، فيمكنها أن تؤثر على أفكاره وسلوكه عن طريق تلك الفوائد، التي يحصل عليها من وراء انتمائه لها، والمتمثلة فيما يلي:

– تحقيق الرغبات الشخصية والاجتماعية المشروعة شرعا، التي يعجز الفرد عادة عن تحقيقها بمفرده، لان الفرد وحده كالعدم (unus homo nullos homo).

– الشعور بالانتماء إلى دولة تتقبله ويتقبلها، فيشعر بالأمن والطمأنينة، ولا تصدم مع هويته الاسلامية.

– يمكن تغيير سلوك الفرد عن طريق الجماعة، فكل جماعة لها معاييرها وقيمها التي يتحتم على الفرد المنتمي إليها اكتسابها.

– يتمكن الفرد عن طريق انتمائه للجماعة من اكتساب الميراث الثقافي الذي يمكنه من التفاعل ايجابياً مع أفراد مجتمعه. وبالتالي يمكن القول: بأن المواطنه هي العضوية النشطة في مجتمع سياسي، في إطار من الحقوق والمسئوليات، التي يحددها الشرع ثم الدستور والقانون. ويتضح لنا مما سبق، أنه لكي تكون مواطناً في مجتمع ما، فإن ذلك يعني مجموعة من المفاهيم الأساسية:

– وضع قانوني: أبسط معاني المواطنة، هو أن تكون عضواً في مجتمع سياسي معين أو دولة معينه، فالقانون يؤسس الدولة، ويخلق المساواة بين مواطنيها، ويحقق العدل، ويرسي نظاماً عاماً من الحقوق Rights والواجبات، تسري على الجميع دون تفرقة، تعطي المشاركة الايجابية، وعادة ما تكون "رابطة الجنسية" معياراً أساسياً في تحديد من هو المواطن؟ ويصبح تبعا لذلك المتمتع بالجنسية المصرية هو مواطنا مصريا، ومن حصل على الجنسية الأمريكية هو مواطن أمريكى....ألخ.

– المشاركة في الحياة العامة في الداخل والخارج: ثانى معاني المواطنة يتمثل فى المشاركة فى الحياة العامة وعادة ما يشار إلى ذلك "بالمواطنة الفعالة"وتشمل مجالات كثيرة.

– العضوية السياسية: ثالث معاني المواطنة هو "العضوية فى مجتمع سياسى معين "وهو ما يعادل الإنتماء الوطنى إلى دولة أو كيان سياسي بعينه، يمس ذلك قضية "سيكولوجية" مهمة هي الشعور بالانتماء للوطن، وليس مجرد الإقامة فيه، والعيش خارج الإطار الوطني.

– الرفاهة الاجتماعية: وبقصد بها العدالة الإجتماعية، لان العدل اساس الاوطان، وهو حق كل مواطن في الحصول على الحقوق دون تميز، بسبب اللون أو العرق أو الدين.

– السلوك التعليمي: والمقصود به، الأنشطة التعليمية، التي تساعد المواطنين، على أن يكونوا مواطنين فاعلين، مشاركين، يتصرفون بمسئولية تجاه مجتمعهم وشركائهم في المواطنة، وهو أمر تحتاج إلية الدول الديمقراطية التى لا يستطيع النظام أن يعمل بها بكفاءة دون مشاركة مواطنيه على نطاق واسع[١].

مما لاشك فيه أن مفهوم االمواطنة، قد تأثر عبر العصور السابقة، بالتطورات السياسية والاجتماعية المختلفة، إلا أن ذلك كله لا يعني أبداً – خاصة في ضوء النقاط آنفة الذكر– انه لا يوجد محتوى أساسي لمعنى المواطنة، فتلك الأخيرة تحتوي علي معني أساسي وهو الانتماء، فالانتماء هو المعنى الحقيقي لمفهوم المواطنة، وبدونه لا قيمة للمواطنة التي تبقى مجرد جنسية تمنح حقوقاً وتفرض واجبات، ولا تعبر إلا عن التابعية، ووثيقة سفر لاجتياز الحدود، وكل ذلك يحول دون تحقق الآمن والسلم المجتمعي الحقيقي .

إذا تحققت المواطنة بمعناها الحقيقى وتوفر عنصر الإنتماء يترتب عليه حتماً ظهور نوع من التضامن الاجتماعي بين مواطني الدولة، لان الوضع القانوني للمواطنة سيكون عام، ينتج عنه مساواة تامة في الحقوق الممنوحة للمواطنين قانوناً ودستورياً، وبالتالي مساواة في الخدمات التي تقدمها –الدولة –للمواطنين ومساواة في الواجبات والالتزامات المفروضة على المواطنين مقابل الحقوق والخدمات المقدمة لهم[٢].

إن البحث الحثيث عن مصطلح (المواطنة) ومحاولة التأصيل الشرعي له، يقتضي منا العودة إلى الجذور الذي أتى منها.

---

(١) سامح فوزى، المواطنة، ص٩–٢٣، مركز القاهرة للدراسات وحقوق الإنسان، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م

(٢) مفهوم المواطنة في النظام الديمقراطى، مرجع سابق، ص٥

المطلب الأول

المواطنة لغة

– المواطنة فى اللغة على وزن مفاعلة، مأخوذه من موطن على وزن مفعل، ومواطنة: مصدر الفعل واطن بمعنى شارك في المكان إقامة ومولدا لأن الفعل على وزن فاعل [١]

وفى لسان العرب لإبن منظور [٢] الوطن: المنزل تقيم به ، وهو موطن الإنسان ومحله والجمع أوطان.، وأوطان الغنم والبقر مرابطها وأماكنها التى تأوى إليها ....، ومواطن مكه : موافقها ، وهو من ذلك وطن بالمكان وأوطن أقام وأوطنه : أتخذه وطناً . يقال أوطن فلان أرض كذا، كذا أى إتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيها ..، والموطن مفعل منه ، ويسمى به المشهد من مشاهد الحرب وجمعه مواطن [٣] وفى التنزيل العزيز (لقد نصركم الله فى مواطن [٤]. كثيرة [٥]

وفى تهذيب اللغة: وأما الوطن فكل مكان قام به الإنسان لأمر ما فهو موطن له، كقولك إذا أتيت فوقفت في تلك المواطن فادع الله لى ولإخوانى [٦]

قال الزبيدى [٧]: الوطن منزل الإقامة من الإنسان ومحلة، وجمعها أوطان [٨]

---

(١) التعريفات للجرجانى ص٣٢٧، دار الكتب العلمية–بيروت،الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ–١٩٨٣م.

(٢) ابن منظور:هو محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب (لسان العرب) : الإمام اللغوي الحجة. من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري. ولد بمصرسنة٦٣٠هـ الموافق١٢٣٢ م (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس وتوفى بمصر ٧١١هـ الموافق١٣١١م وترك وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره "الأعلام للزركلى (ج٧/ ١٠٨) الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين ، وموسوعة الأعلام (ج٢ /٣٠) موقع وزارة الإعلام المصرية .

(٣) لسان العرب لأبن منظور (ج ١٣ / ٤٥١) مادة "وطن" الطبعة الثالثه، دار صادر بيروت

(٤) إسم للمكان الذى كانت فيه الواقعة بين مكة والطائف انظر تيسر الكريم الرحمن من تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدى "تفسير سورة التوبة أيه ٢٥ " مؤسسة الرسالة–بيروت.

(٥) سورة التوبه ،الآيه: ٢٥

(٦) تهذيب اللغة،باب الطاء والنون ج١٤ص٢١، دار إحياء التراث العربى–بيروت،الطبعة الأولى،٢٠٠١م.

(٧) مُرْتَضى الزَّبِيدِي محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى: علّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. أصله من واسط (في العراق) ومولده بالهند (في بلجرام) ومنشأه في زبيد (باليمن) رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، وتوفي بالطاعون في مصر. من كتبه (تاج العروس في شرح القاموس)انظر :الأعلام للزركلى(ج٧ص٧٠)

(٨) تاج العروس للزبيدى(ج٣٦ ص ٢٦١) مادة وطن، دار الهداية، بدون سنة نشر.

توطن: مطاوع وطن يقال توطنت نفسه على الشيء، زلت وتمهدت له، وإستوطن البلد توطنه، والوطن مكان إقامة الإنسان ومقره وإليه إنتماؤه ولد به أولم يولد به[١]

– ومواطن الحرب مواقعها، وقد يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين رضى الله عنه [٢] وفى الحديث الشريف أن النبى ﷺ ((نهى عن نقرة الغراب [٣] وإفتراش السبع [٤] وأن يوطن الرجل مكانه فى الصلاه [٥] كما يوطن البعير)) [٦].

وفى المصباح المنير: الوطن مكان الإنسان ومقروة، ومنة قيل لمربض الغنم وطن والجمع أوطان مثل سبب وأسباب وأوطن الرجل البلد وأستوطنة إتخذة وطنا والموطن مثل الوطن والجمع مواطن مثل مسجد ومساجد والموطن أيضا المشهد من مشاهد الحرب، وواطن نفسه على الأرض توطينا مهدها لفعله وذللها وواطنة مواطنة مثل وافقة موافقة وزنا ومعنى [٧] ووطنت فلاناً على هذا الأمر: أى جعلتما فى أنفسكما أن تعملاه وتفعلاه وتقول وطنت نفسي على الأمر فتطونت أى حملتها عليه فذلت [٨].

---

(١) المعجم الوسيط، باب الواو (ج٢ / ١٠٤)،المؤلف مجمع اللغة العربية بالقاهرة . طبعة بدونٍ . دار الدعوة

(٢) الكليات – أيوب بن موسى الحسينى الكريمى الكنوى (ص ٨٢٨) ،مؤسسة الرسالة

(٣) يعنى أن يهوى الرجل فى صلاته ثم يرفع رأسه بسرعة، مثل الغراب الذى يلتقط شيء من الأرض بقدر وضع منقاره فيما يريد أكله، لسان العرب. (جـ٥ / ٢٧٧)

(٤) وهو أن يبسط ذراعية فى السجود ولا يرفعهما عن الأرض كما يفعله الذئب والكلب وغيرهما، غريب الحديث للقاسم بن سلام (جـ ٢ / صـ ١١٠) الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية .

(٥) قيل معناه ان يألف الرجل مكاناً معلوماً من المسجد مخصوصاً به يصلى فيه كالبعير لا يأوى من عطن إلى مبرك دمث قد أوطنه واتخذه مناخاً، وقبل معناه أن يبرك على ركبتية قبل يدية إذا أراد السجود مثل بروك البعير . لسان العرب (جـ ١٣ / ٤٥١)

(٦) الحديث رواه بن ماجه فى سننه برقم (١٤٢٩) ج ١ صـ ٤٥٩ كتاب إقامة الصلاة. طبعة إحياء التراث، وأحمد فى مسنده (ج ٢٤ ص ٢٩٢) الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة ، وأبودواد فى سننه برقم (٨٠٨) ج ٤ صـ ١٢ الطبعة الأولى مؤسسة غراس الكويت ،وحسنه الشيخ الألبانى في صحيح الجامع الصغير وزيادته،برقم ١١٧١ ج٢،باب المناهى وقال حديث حسناً وصححه بن خزيمة ، وبن حبان والحاكم ووافقة الذهبى .

(٧) المصباح المنير مادة وطن (ج٢ ص٦٦٤) المكتبة العلمية –بيروت

(٨) كتاب العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر الفراهيدى البصرى (ج ٧/ ٤٥٤) طبعة دار الهلال، بدون سنة نشر.

وهكذا لم يربعض أهل اللغة دلالة لهذا اللفظ على مفهومها الحديث، إذ أن واطن في اللغة تعنى مجرد الموافقة: يقال واطنت فلانا، يعنى وافقت مرادة، لكن آخرين من المعاصرين رأوا إمكانية بناء دلالة مقاربة للمفهوم المعاصر بمعنى المعايشة في وطن واحد من لفظة "المواطنة" المشتقة من الفعل"وطن.

وجاء فى معجم اللغة العربية المعاصرة: واطن يواطن، مواطنه فهو مواطن. والمفعول مواطن، واطن القوم عاش معهم فى وطن واحد، مواطن مفرد أسم فاعل من واطن – من نشأ معك فى وطن واحد [١].

مما سبق يتضح أن الجذر اللغوى للمواطنة هى مادة (و–ط–ن)

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة– د أحمد مختار عبد الحميد (ج ٣ / ٥٦٣٤) الطبعة الأولي ، دار عالم الكتب

المطلب الثانى

المواطنة فى الإصطلاح

تمهيد:

برز مفهوم المواطنة فى المجتمعات الأولى بصبغة المواطنة الإمتيازية التى تمنح بعض المواطنين إمتيازات أكثر من الأخرين [١] حدث ذلك فى أثينا ببلاد اليونان ، روما ، كانت مواطنة أثينا وروما حرمان النساء والعبيد من حقوق المواطنة مثل حق المشاركة فى تدبير وإدارة الشأن العام وحق الترشيح وحق التصويت[٢] ولقد شهدت الحضارات المختلفة مفاهيم متعددة للمواطنة ، وحددت كلا منهما معايير للمواطنة ، وفى الحضارة الإسلامية كانت هناك العديد من الوثائق التى رسخت مفهوم المواطنة ، مثل "وثيقة المدينة "التى وضعت أساس للمواطنة بين سكان المدينة المنورة وفى الحديث الشريف "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" [٣] تأكيداً على أن الرعاية ليست محصورة فى الدولة ، وأن لكل شخص فى المجتمع واجبات تجاه الأخريين إبتداءاً من نفسة ومروراً باسرتة وجيرانة وحيه ومجتمعه [٤]

وقد شهدت الأونة الأخيرة نقاشات وحورات موسعة حول المواطنة ومفهوماتها وتعريفاتها، وذهب البعض ألى أن المواطنة هى مجموعة من الحقوق في المقام الاول والبعض الآخر يرى أن المواطنة مجموعة من الإلتزامات والواجبات التى يؤديها الفرد تجاة–وطنةويعتبر مفهوم المواطنة من المفاهيم الحديثة ، التي اكتسحت المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية وغيرها، وأخذ بعدا عالميا بفعل جملة من التحولات والتطورات على الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية ، مست مختلف المنظومات السياسية والاجتماعية والثقافية، حيث كان من المفاهيم التي انتشرت في إطار التفاعل بين الشعوب والثقافات ، وظهر خاصة بعد الممارسات المشينة في حقوق الإنسان ، ذلك أن اغتصاب المواطنة كان مع الموجة الاستعمارية التي عمت معظم

---

(١) نشأ المصطلح فى الأساس على مبدأ العنصرية والتمييز

(٢) المواطنة المسؤولة دجمال بند جمان، صـ ٩، الناشر المعهد العربى للتنمية والمواطنة

(٣) الحديث أخرجه ومسلم فى صحيحة برقم ١٨٢٩ (جـ ٣ صـ ١٤٥٩) . طبعة بدون ، دار إحياء التراث العربى بيروت، مالك فى الموطأ برقم ٢١٢١(جـ ٢ صـ ١٨٢)طبعة بدون ، مؤسسة الرسالة ، وأحمد فى المسند برقم ٤٤٩ ٥ (جـ ٨ صـ ٨٣)، ،والبزار فى مسنده. برقم ٥٦٧٦(جـ ١٢ صـ ١٢٦) ، مكتبة العلوم والحكم . المدينة المنورة، الطبعة الأولى.

(٤) الموا طنة المسؤولة، مصدر سابق،(ص٩)

الدول العربية والإسلامية ، كونها انتهاك للحقوق ، واختراق للسيادة الوطنية ، وقمع للحريات ، واستغلال للثروة.وكان غياب المواطنة أو اختزالها سببا في حدوث اختلالات سياسية واقتصادية ، ذلك أن الإنسان المقهور لا يمكنه أن يصنع تنميتة.

***أما المواطنة من حيث "جذورها الاشتقاقي" اللغوي فتعود** -كما قلنا عند حديثنا عن معنى المواطنة في اللغة -إلى كلمة "وطن" الذي هو الممتد او الحيز الذي تعيش وتتعايش فيه المجموعة البشرية، حيث يتفاعل أفراده مع بعضهم البعض، وتجمع بينهم عدة أواصر، كاللغة، أو التّاريخ المشترك، والمصير المشترك، والدين، والعادات والتقاليد، وغيرها من العوامل...وهو ليس علاقة عابرة، بل مجموعة علاقات إنسانية عمودية وأفقية.

وإذا كانت المواطنة تعتبر في أساسها مبدأ أو حقا طبيعيا للإنسان، فإنها من حيث البناء المفاهيمي تعتبر مفهوما حديثا، وقد تطورت في محتوياتها من كل مرحلة تاريخية وحضارية لأخرى، لذلك تعددت في معانيها بما يصعب تحديدها وحصرها في معنى أو مدلول معين

وهاهي بعض تعريفات المواطنة في الاصطلاح.

١-المواطنة هى: رابطة قانونية قائمة بين الفرد ودولتة التى يقيم فيها بشكل ثابت ويتمتع بجنسيتها على أساس جملة من الواجبات والحقوق فهى أى-المواطنة -مجموعة من العلاقات المتبادلة بين الفرد والدولة وبين الأفراد بعضهم ببعض قائمة على أساس ما يسمى بالحقوق والواجبات وهي التى يحددها القانون الأساسى (الدستور) وبالطبع في ظل نظام ديمقراطى حقيقى، هيئة المواطنون أو الشعب هو الذي يقر الدستور بإعتبارة الوثيقة الأساسية التى بمقتضاها يتم الحكم[١]

٢-وقيل المواطنة هى تمتع الشخص بحقوق وواجبات، وممارستها في بقعة جغرافية معينة، لها حدود محددة، تعرف في الوقت الراهن بالدولة القومية الحديثة التى تستند إلى حكم القانون[٢]

٣-وعرفها البعض بأنها : علاقة قانونية بين (المواطن) وبين الوطن الذي تمثله الدولةبسلطاتها الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية حيث تنظم القوانين السائدة هذه العلاقة، والتي تقوم على

---

(١) مفهوم الديمقراطية فى الوطن العربى، مصدر سابق، (ص٤).

(٢) المواطنة، سامح فوزي، مرجع سابق، (ص٧)

أساس الانتماء لوطن واحد ، خاضع لنظام سياسي واحد ، بعيدا عن الارتباط بشيء خارج إطار الوطن ، سواء كان الدين أو الثقافة أو غير ذلك، ، وهي علاقة اصطناعية ليست علاقة طبيعية، فهي ليست صفة لصيقة للإنسان بمقتضى إنسانيته ، بل هناك طرق لاكتسابها ، كما أن الإنسان يمكن أن يفقدها وفق شروط وضوابط معينة كما أن الأحكام المنظمة لهذه العلاقة قابلة للتغيير انطلاقا من إمكانية تغيير القوانين التي تضبط حدود تلك العلاقة ، وتبين الحقوق والواجبات المترتبة عليها [١].

٤-وعرفها (مايكل إس.جويس) المواطنة فكرة إنتخابية فى السياسة، وجوهر المواطنة التصويت بأمانة وبروية، وهى أيضا مشاركة فردية فاعلة فى المجال الفسيح للشئون الإنسانية المعروفة باسم (المجتمع المدنى) فالمجتمع المدنى يضم جميع المؤسسات التى يعبر الأفراد من خلالها عن مصالحهم وقيمهم خارج مجال عمل الحكومة وبشكل مميز عنها ، وهوبالتالى يشمل أنشطتنا فى السوق ، بما فى ذلك شراء الملكيات الخاصة والتمسك بالوظيفة، وكسب العيش، ويشمل أيضا ما نفعلة كأفراد محبين لأسرتنا، وكطلاب أو أهل داخل مدرستنا ، وومارستنا للصلوات ، وكأفراد مخلصين لجمعياتنا المحلية، والنوادى التى ننتسب إليها ، ومحافل الإخوة والأخوات، والجمعيات الأثنية التطوعية من مختلف الأنواع ، وتقديم النصيحة الصادقة المحبة ، والنقد للآخرين ، وتتم ممارسة المواطنة بشكل منتظم ومتواصل...الخ) ثم يواصل ويقول:"ومن خلال هذةالتفاعلات اليومية العديدة الدقيقة تعطى مؤسستنا المدنية شكلا ومضمونا لقيمنا وصفتنا اليومية [٢].

والملاحظ من التعريف أنة عرف المواطنة بصورة أكثر شمولا ورواجا٠وذلك من خلال الممارسة الفعلية للمفهوم.

وفى معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية المواطنة: صفة المواطن والتى تحدد حقوق وواجباتة الوطنية، ويعرف الفرد حقوقة ويؤدى واجباتة، عن طريق التربية الوطنية، وتتميز المواطنة

---

(١) د-المواطنة فى الإسلام واجبات وحقوق، د.أحمد عبد الغنى النجولى، مطبعة الحارثى -مصر، ص ٤، نقلا عن: القاموس السياسى لاحمد عطية

(٢) دور تدريس مادة التربية الوطنية فى تنمية قيم المواطنة لدى تلاميذ المرحلة الإبتدائية،ص٢٠،عطية ابن حامد بحث منشور على شبكة الإنترنت.

بنوع خاص بولاء المواطن لبلادة وخدمتها في أوقات السلم والحرب والتعاون مع المواطنين الآخرين في تحقيق الأهداف القومية[١].

وأما المواطنة من حيث مفهومها السياسى صفة المواطن التى يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات الت يفرضها علية إنتماؤة إلى الوطن، ومن هذة الحقوق على سبيل المثال لا الحصر، حق التعليم، حق الرعاية الصحية، حق الشغل ..، أما الواجبات فمنها على سبيل المثال لا الحصر كذلك: واجب الولاء للوطن والدفاع عنه، وواجب أداء العمل وإتقانة...الخ

وبناء علية فالمواطنة هى: علاقة الفرد بدولتة، علاقة يحددها الدستور والقوانين المنبثقة عنة، والتى تحمل وتضمن معنى المساواة بين المواطنين[٢]

وتحيل المواطنة باعتبارها مفهوما قانونيا إلى شرطين:

الأول: شرط الدولة الوطنية: وما يستتسع ذلك من إقامة مجتمع وطنى يقوم على إختيار إرادة العيش المشترك بين أبنائه.

الثانى: شرط النظام الديمقراطى: ويشمل متطلبات ذلك النظام للتوازن بين الحقوق والواجبات، وبين العام والخاص، وبين الخصوصيات والشمول[٣]

وفى قاموس علم الإجتماع تم تعريفها على أنها مكانة أو علاقة إجتماعية تقوم بين فرد طبيعى ومجتمع سياسى "دولة"ومن خلال هذة العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثانى الحماية، وتتحد هذة العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق القانون[٤]

---

(١) معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية، ص٦٠، د.أحمد زكى بدوي، مكتبة لبنان،سنة النشر ١٩٨٢م

(٢) التأصيل التأريخى لمفهوم المواطنة ص٢، د بان غانم –مركز الدراسات الإقليمية، بحث منشور على شبكة الإنترنت

(٣) المواطنة فى الإسلام واجبات وحقوق، مرجع سابق، ص٤

(٤) الإتجاهات المعاصرة فى تربية المواطنة ص٢ ، دفهد ابراهيم الحبيب،مركز افاق للدراسات والبحوث.

ويعرفها البعض من منظور نفسي بأنها: الشعور بالإنتماء والولاء للوطن والقيادة السياسية التي هى مصدر الإشباع للحاجات الأساسية وحماية الذات من الأخطار المصيرية. وبذلك فالمواطنة تشير إلى العلاقة مع الأرض أو البلد [١].

إن المواطنة مفاعلة –أى تفاعل–بين الإنسان المواطن وبين الوطن الذى ينتمى إليه ويعيش فيه. وهى علاقة تفاعل لأنها علاقة بين طرفين، وعليها العديد من الحقوق والواجبات، فلابد لقيام المواطنة أن يكون إنتماء المواطن وولاؤه كاملين للوطن ، يحترم هويته، ويؤمن بها وينتمى إليها ويدافع عنها بكل ما فى عناصر هذة الهوية من ثوابت اللغة والتاريخ والقيم والأداب العامة، والأرض التى تمثل وعاء الهوية والمواطنين، وولاء المواطن لوطنة يستلزم البراء من أعداء هذا الوطن طالما استمر هذا العداء. وكما أن للوطن هذة الحقوق والتى هى واجبات وفرائض على المواطن ، فإن لهذا المواطن على وطنة ومجتمعة وشعبة وأمتة كذلك حقوقا من أهمها، المساواة فى تكافؤ الفرص.

وإنتفاء التمييز فى الحقوق السياسية والإجتماعية والإقتصادية بسبب الون أو الطبقة أو الإعتقاد، مع تحقيق التكافل الإجتماعى الذي يجعل الأمة سدا واحد، والشعب كيانا مترابطا، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر أعضاء الجسد الواحد بالتكافل والتضامن والتساند والإنقاذ [٢].

ومع أن المواطنة تتسع بإتساع الدولة إلا أن الدولة باعتبارها كيانا معترفا به جغرافيا وسياسيا قد تضم مواطنين لهم جنسيات آخرى وليست لهم إلتزامات المواطنين ذاتها، وبالمثل فهم لا يتمتعون بالإمتيازات ذاتها التى يتمتع بها المواطنون وفى كل الأحوال ترتبط المواطنة بالدولة القائمة التى لها سلطات إدارية ولها نظم عاملة، ولها نظم وقوانين ولم تعد المواطنة محصورة فى ولاء عشائرى ولاقبلى ولاطائفى ولاعرقى ولاطبقى ٠٠بل يتجاوز الولاء هذة الأطر الضيقة ليرتبط بالوطن الأم الحاضن للجميع [٣].

---

(١) المواطنة حقوق وواجبات، دصابر عبد الباقى، مجلة الحوار المتمدن، العدد ٢٩٢٠، منشور بتاريخ ٢٠١٠/٢/١٧.

(٢) المواطنة فى الإسلام واجبات وحقوق، مصدر سابق، ص٥

(٣) المواطنة حقوق وواجبات، صابر عبد الباقى، مصدر سابق، ص٢

أما المواطنة بصفتها مصطلحاً معاصراً تعريف للفظة "citizenship "

التى تعنى الدولة، وما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق متبادلة فى تلك الدولة كما ظهر معناها في قاموس "أكسفورد"–ويعود أصل الكلمة الأنجليزية (citizen) أو الفرنسية (citoyen) فى أصلها إلى كلمة (civis) الإغريقية القديمة، وهى تعنى الشحص القاطن فى المدينة (civitas) وتقترب كلمة (civis) بمعنى مواطن من كلمة (civil) بالإنجليزية أو الفرنسية والتى تعنى مدنى ، وترتبط كلمة مدنى بدورها بمجتمع مستمر بنظم العلاقة بين أفرادة وبينهم وبين الدولة حسب القانون [١].

وتشير دائرة "المعارف البريطانية" إلى أن المواطنة ": علاقة بين فرد ودولة، كما يحددها قانون تلك الدولة، متضمنة مرتبة من الحرية وما يصاحبها من مسؤوليات، وتسبغ عليه حقوقاً سياسية مثل حقوق الانتخاب وتولي المناصب العامة [٢]. وميزت الدائرة بين الوطنية والجنسية، التي غالباً ما تستخدم في إطار الترادف، إذ أن الجنسية، تضمن بالإضافة إلى الوطنية، حقوقاً أخرى، مثل الحماية في الخارج، وبطاقة لتعريف بشخصية الفرد وهوية رسمية له عندما يخرج من حدود بلدة [٣].

وعرفت موسوعة الكتاب الدولى المواطنه بأنها " عضوية كاملة في دولة أو في بعض وحدات الحكم" وأن المواطنين لديهم بعض الحقوق مثل حق التصويت وحق تولى المناصب العامة، وعليهم بعض الواجبات مثل واجب دفع الضرائب والدفاع عن بلدهم [٤]

وتعرف موسوعة كولير الأمريكية كلمة "citizenship"(وتقصد بها مصطلح المواطنة ومصطلح الجنسية دون تميز) بانها أكثر أشكال العضوية إكتمالا في جماعة سياسية ما [٥]

---

(١) المواطنة المسؤولة ، مصدر سابق ص٦

(٢) مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية، ليث زيدان، مصدر سابق، ص٥

(٣) مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية على الكواري، ص٥مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٤،ضمن كتاب المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية.

(٤) التأصيل التاريخى لمفهوم المواطنة، مصدر سابق، ص٦.

(٥) المرجع السابق ص٦

لم تميز موسوعة الكتاب الدولى وموسوعة كولير الأمريكية بين مصطلح المواطنة ومصطلح الجنسية كما فعلت دائرة المعارف البريطانية[١]

ويبدو من تعريفات هذة الموسوعات الثلاث، أنة في الدولة الديمقراطية يتمتع كل من يحمل جنسية الدولة من البالغين الراشدين، بحقوق المواطنة فيها٠وهذا الوضع ليس نفسه في الدول غير الديمقراطية حيث تكون الجنسية مجرد تابعية لا تتوافر لمن يحملها بالضرورة حقوق المواطنة السياسية هذا إن توافرت هذة الحقوق أصلا لأحدغير الحكام وربما للحاكم الفرد المطلق وحدة[٢].

وعرفت الموسوعةالعربية العالمية المواطنة بأنها "تعبير قويم يعنى حب الفرد وإخلاصة لوطنة، الذي يشمل الأنتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والفخر بالتاريخ والتفانى في خدمة الوطن، ويوحى هذا المصطلح بالتوحد مع الأمة، تحت سماء الهوية الإسلامية

كما تعرفها بأنها الشعور الجمعي الذي يربط بين أبناء الجماعة ويملأ قلوبهم بحب الوطن، والإستعداد لبذل أقصى الجهد في سبيل بنائها، والإستعداد للموت دفاعا عنها "إصطلاح يشير إلى الإنتماء إلى أمة أو وطن "[٣].

وفى ظل المفهوم الجديد الحاضن للعولمة وما أتت به من تحولات سياسية وأقتصادية وثقافية وعملية وتقنية فقد أصبح العالم وطنا الأكبر أو كما يقال قريتنا الكوكبية التى نسكن فيها، ومن ثم ظهر ما يعرف بالمواطنة العظمى أو المواطنة العالمية (GlObal CiTizenship) والمواطنةبمفهومها القومى لها قيتها وبمفهومها العولمى لها قيم خاصة بها؛ فالمواطنة من مفهومها القومى لها قيمتها مثل الولاء، وحب الوطن، وخدمة الوطن بإخلاص والتعاون والمشاركة في الأمور العامة بين المواطنين. أما المواطنة بمفهومها العولمى فهى تتطلب: السلام، والتسامح الإنسانى، وإحترام ثقافات الآخرين وتقديرها والتعايش مع كل الناس، كذلك التعاون مع هيئات ونظم وأفراد في كل مجال حيوي كالغذاء والأمن والتعليم والعمل والصحة.

---

(١) مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية، مرجع سابق

(٢) مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية، مصدر سابق ص٦

(٣) الموسوعة العربية العالمية، شبكة المعلومات الدولية

وإذا كان سؤال المواطنة في الماضى يركز على كيفية إدماج الأفراد، كمواطنين، ضمن إطار الدولة الحديثة، فإن سؤال المواطنة الآن ينصب على ما يبدو، على معالجة عجز الدولة الحديثة عن بناء المواطنة والحفاظ عليها بسبب عدم قدرتها على دمج الأفراد وتحقيق المساواة والعدل بين الجميع.

والمواطنة بمفهومها العالمى لاتمسح أو تلغى المواطنة بمفهومها القومى فبدون تلك الأخيرة لا وجود للمواطنة بمفهومها العالمى فكل يعاضد الآخر [١].

ويطرح الباحثان داون أوليفر(Dawnoliver) وديرك هير (Derek Heater) رؤية تتلخص فيما يلي:

اولا: المواطنة تجسيد لنوع من الشعب يتكون من مواطنين يحترم كل فرد منهم الفرد الآخر، ويتحلون بالتسامح تجاة التنوع الذي يذخر به المجتمع.

ثانيا: من أجل تجسيد المواطنة في الواقع ، على القانون أن يعامل ويعزز معاملة كل الذين يعتبرون بحكم الواقع أعضاء في المجتمع ، على قدم المساواة بصرف النظر عن إنتمائهم القومى أوطبقتهم أوجنسهم أوعرقهم أوثقافتهم أوأى وقت من اوجة التنوع بين الأفراد والجماعات. وعلى القانون أن يحمى وأن يعزز كرامة واستقلال وإحترام الأفراد، وأن يقدم الضمانات القانونية لمنع اى تعديات على الحقوق المدنية والسياسية وعلية أيضا ضمان قيام الشروط الإجتماعية والإقتصادية لتحقيق الإنصاف. كما أن على القانون أن يمكن الأفراد من أن يشاركوا بفاعلية في إتخاذ القرارات التى تؤثر على حياتهم ، وأن يمكنهم من المشاركة الفعالة في عمليات إتخاذ القرارات السياسية في المجتمعات التى ينتسبون إليها [٢]

---

(١) مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية، مصدر سابق، ص٦

(٢) المصدر السابق، ص٦

فالمواطنة الصالحة من هذا المنظور يقصد بها إيجاد روح حب الوطن، أو المجتمع مع إختلاف تركيبتة والقيم التى توجد فيهٍ حيث يندرج حب الوطن، مع حبه لمدينته الصغيرة، فدولته، فمجتمعة الكبير العالمى.[١]

ويبقى أن كل التعريفات تتفق على أنها مفهوم جامع معناه الإنتماء إلى مجموعة سياسية منظمة فى إطار دولة تفترض حقوق وواجبات، وتجعل مجموع المواطنين يشتركون فى تحقيق هدف واحد يتمثل فى العمل الجماعى من أجل تحسين شرط الحياة الجماعية بغض النظر عن المعتقد أو العرف أو اللغة أو الثقافة[٢].

–فالمواطنة بالمفهوم الواسع تعنى الولاء للأرض عمارة، وللقوم إحساناً وللقانون إلتزاماً وللسلطة طاعة فى المعروف.

(١) تربية المواطنة من منظور إسلامى، محمود خليل ابو ردف، ص ٢٤، بدون طبعة

(٢) حقوق المواطنة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة، د.حسن السيد خطاب ص٢٤، بدون طبعة

المبحث الثانى

مفهوم المواطنة من المنظور الإسلامى والتأصيل الشرعي لها

المطلب الاول

التأصيل الشرعي لمفهوم المواطنة

اولا: وحدة الأصل الإنسانى أو النزعة الفطرية الإنسانية:

فكل الناس سواء في أصلهم وجنسهم وميولهم الفطرية التى تقتضي التمسك بالمواطنة وحب الوطن[1] وقد دلل القرآن والسنة على ذلك في كثير من الأيات والأثار.

١-الأدلة من القرآن الكريم

لقد أكد القرآن الكريم على مكانة الوطن، وأن للديار حرمه، والإعتداء عليها بإخراج أهلها منها أو إذلالهم فيها تعتبر فعلة شنعاء وجريمة في حق أهله ألا وهو الحب، وحب الوطن أساس لمن يعيش فيه، لذا يصبح هذا الإنسان مواطن له مكانته ووضعه.

جاء القرآن الكريم ليكون الضابط لعاطفة حب الوطن والمواطنة، وحسن توجيهها وتحديد مسارها، بحيث يكون مسلكا وسطا للامة الإسلامية، ولقد وردت الآيات القرآنية التى تدل على الوطن والمواطنة.

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[2]

---

(١) مفهوم المواطنة فى المنظور الإسلامى ص٥، د.وهبة الزحيلى، موقع إسلاميات، بحث منشور بتاريخ،١٦ذوالحجة ١٤٣٣هـ.

(٢) سورة التوبة، الآيه: (٢٤)

فالإباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والمساكن وهذا هو الوطن منهي أن تكون أحب إلى المسلم من الله ورسوله وهذه يعني وجود الحب ولكن الممنوع تقديمه على محبة الله ورسوله ﷺ [١].

قال الشوكانى رحمه الله"[٢] والمراد بالمساكن التي يرضونها: المنازل التي تعجبهم وتميل إليها أنفسهم ويرون الإقامة فيها أحب إليهم"[٣] فإذا أحب المواطن وطنه أحب الإقامة فيه هو وأهله وعشيرته، فكان هذا من الدواعى لان يكون لهم حقوق وواجبات تعطى لهم.

وقول الله تعالى "ومساكن ترضونها" أي لأنها مجمع لذلك كله، ولقد رتبها سبحانه أحسن ترتيب، فإن الأب أحب المذكورين لما هنا من شائبة النصرة، وبعده الابن ثم الأخ ثم الزوج ثم العشير الجامع للذكور والإناث ثم المال الموجود في اليد ثم المتوقع ربحه بالمتجر، وختم بالمسكن لأنه الغاية التي كل ما تقدم أسباب للاسترواح فيه والتجمل به [٤]

يقول الشيخ ابن عاشور[٥]: ((وقد أفاد هذا المعنى التعبير بـ (أحب) لأن التفصيل في المحبة يتقصى إرضاء الأقوى من المحبوبين ففي هذا التعبير تحذير من التهاون بواجبات الدين، مع الكناية عن جعل ذلك التهاون مسببا على تقديم محبة تلك العلائق على محبة الله سبحانه وتعالى ففيه إيقاظ إلى ما يقول إليه ذلك من مهواة في الدين وهذا من ابلغ التعبير) [٦]

---

(١) حب الوطن من منظور شرعى–زيد بن عبد الكريم الزيد ص١٠، منشور على شبكة الإنترنت، م الأمن الفكرى.

(٢) الشَّوْكَاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد. له ١١٤ مؤلفا، منها (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار – ط) انظر:الأعلام للزركلى ج٦ص٢٩٨، دار العلم للملايين،الطبعة الخامسة عشر،آيار–مايو٢٠٠٢م.

(٣) فتح القدير ج٢ ص٣٩٦، دار الفكر، بدون تاريخ نشر

(٤) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، إبراهيم ابن عمر البقاعى، ج٨ص٤٢٢ دار الكتاب الإسلامى– القاهرة

(٥) ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى: ١٣٩٣هـ موقع المكتبة الشاملة

(٦) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ج ١٠ ص١٥٣ الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

٣- يقول الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [١] وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [٢]

فقد حكي الله سبحانه وتعالى عن نبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم هذا الدعاء بالأمن والرزق ويتضح من هذا الدعاء ما يفيض به القلب إبراهيم عليه السلام من حب المستقر عبادته وموطن أهله والدعاء علامة من علامات الحب وتعبير عنه [٣].

فحب الوطن لايكون إلا من مواطن غرست فى المواطنة الصالحة: لذا تقتضى هذة المواطنة الدعاء للوطن ولاهلة ، لتحقيق السعادة الحقيقية وهو العيش فى الوطن فى ضوء العدل والعزة والرخاء حيث لابد منها جميعا لإستقرار الحياة السعيدة.

يقول صاحب التحرير والتنوي: ولقد كانت دعوة إبراهيم هذه من جوامع كلم النبوءة فإن أمن البلاد والسبل يستتبع جميع خصال سعادة الحياة ويقتضي العدل والعزة والرخاء إذ لا أمن بدونها، وهو يستتبع التعمير والإقبال على ما ينفع والثروة فلا يختل الأمن إلا إذا اختلت الثلاثة الأول وإذا اختل اختلت الثلاثة الأخيرة، وإنما أراد بذلك تيسير الإقامة فيه على سكانه لتوطيد وسائل ما أراده لذلك البلد [٤].

والمتأمل في الآيه الكريمة يرى أن الإختلاف في الدين لايمنع من التعايش والمواطنة

يقول الإمام القرطبى[٥]: وأما التفسير فقد صح عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب. وهذا لفظ ابن عباس: دعا إبراهيم عليه السلام لمن آمن دون الناس خاصة، فأعلم الله عز

---

(١) سورة البقرة الآيه :١٢٦

(٢) سورة إبراهيم الآيه:٣٥

(٣) حب الوطن من منظور شرعى، مصدر سابق، ص١٠

(٤) التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج١ص٧١٥

(٥) القرطبى: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) نقلا عن الموسوعة العربية العالمية http://www.mawsoah.net

وجل أنه يرزق من كفر كما يرزق من آمن [١] قال أبو جعفر: وقال الله عز وجل:" كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك [٢] " وقال جل ثناؤه:" وأمم سنمتعهم [٣] فالله عزوجل تكفل برزقهم برغم كفرهم، لأنهم عبيد له سبحانه، وهو خلقهم وحسابهم في الأخرةعلى الله، يجازيهم بما كانو يعملون.

وقال تعالى حكاية عن شعيب ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [٤] تدل على معايشة شعيب علية الصلاو والسلام لقومة وتوطنة معهم رغم كفرهم [٥] وكذلك قول يوسف عليه السلام لملك مصر﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [٦] والملك أنذاك كان كافرا"أى ملك مصر وشعبها" [٧].

٣ – يقول الله سبحانه و ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ [٨] فقد اقترن حب الديار مع محبة النفس وأن كلا منهما أمر متأصل في النفوس عزيز عليها [٩]

يقول صاحب تفسير المنار: بين سبحانه وتعالى فى هذة الآيه ما يشق احتماله كقتل الأنفس والخروج من الوطن لعصى الكثير منهم، ولم يطع إلا القليل وهم أصحاب العزائم القوية الذين يؤثرون رضوان الله على حظوظهم وشهواتهم [١٠]

إن المواطنة الصالحة تتحقق في أصحاب العزائم القوية؛ لذا يصعب عليها الخروج من الوطن، لان حب الوطن أصيل في نفسه، وهو يوثر الخير والسعادة لوطنة، فدلت الآيه على أن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج٢ص١٢، دار الكتب المصرية–القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ–١٩٦٤م،

(٢) سورء الإسراء، الآيه:٢٠

(٣) سورة هود، الآيه:٤٨

(٤) سورة هود، الآيه: ٩١

(٥) حقوق المواطنة وواجباتها فى ضوء الكتاب والسنة، مرجع سابق، ص٨

(٦) سورة يوسف الآيه :٥٥

(٧) المرجع السابق، ص٨

(٨) سورة النساء، الآيه:٦٦

(٩) حب الوطن من منظور شرعى، مصدر سابق، ص١٠

(١٠) تفسير المنار، محمد رشيد رضا ج٥ ص١٩٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر ١٩٩٠م

الخروج من الوطن بعد القتل، أى إن المواطنة حب في نفس كل إنسان لا تنفك منة ما دام الإنسان في هذة الحياة[١]

وورد في نص آخر قول الله سبحانه وتعالى ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [٢]

فالآية اقترن حب الوطن فيها مع الدين، فالبر والعدل مأمور بهما لمن لم يقاتل المسلم على دينه ولم يخرجه من وطنه والجمع بينهما دليل على تقارب مكانه كل منهما في الإسلام وفي النفوس. [٣] ويبين لنا القرآن أن للأوطان مكانة، وأن للديار حرمة، وأن الإعتداء على هذة الأوطان بإخراج أهلها منها، أوإذلالهم فيها يعتبر جريمة يحتاج إصلاحها إلى إعلان العدواة والقتال، والنزال

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [٤] قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : إلى مكة[٥].

قال القرطبي رحمه الله تعالى: ((قال مقاتل: خرج النبي ﷺ من الغار ليلا مهاجرا إلى المدينة في غير الطريف مخافة الطلب فلما رجع إلى الطريق ونزل الجحفة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فقال جبريل عليه السلام ان الله يقول: ((إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ)) أي إلى مكة ظاهرا عليها)) [٦].

قال سفيان فسمعناه من مقاتل منذ سبعين سنة عن الضحاك قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة، فبلغ الجحفة، اشتاق إلى مكة، فأنزل الله عليه إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد

---

(١) المواطنة فى الإسلام حقوق وواجبات، د على عبدة أبو حميدى،موقع منهل الثقافة التربوية، شبكة المعلومات الدولية

(٢) سورة الممتحنة، الآيه: ٨

(٣) حب الوطن –مرجع سابق ص١٠

(٤) سورة القصص الآيه:٨٥

(٥) فتح البارى شرح صحيح البخارى، لابن حجر العسقلاني ج٨ص٥١٠ ، دار المعرفة–بيروت،١٣٧٩هـ.

(٦) تفسير القرطبى ج٣٢١/١٣ .

إلى مكة [١] قال النسفي [٢] والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالجحفة لا بمكة ولابالمدينة حين اشفتاق إلى مولده ومولد آبائه[٣].

وقال السمعانى[٤] نزلت هذة الآية بين مكة والمدينة، ورسول الله بالجحفة، وهو منزل من المنازل، وذلك حين هاجر النبي من مكة إلى المدينة [٥].

إن من المواطنة الحنين إلى الوطن والشوق إلية، إذ هو مولد الإنسان والاباء، وعندما يخرج منة يشعر بالحنين إليه، لذا أخذا الله على الأمم السابقة العهد بعدم إخراج الأنفس من الديار، لما لها من التأثير الواضح على الإنسان **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾**[٦]

و **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾**[٧]

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ج٦ص٢٣٤، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية–بيروت.

(٢) النسفي، أبو البركات: عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات، فقيه حنفي مفسر نسب إلى منطقة نسف في بلاد السند، لم تذكر كتب التراجم تاريخ ولادته. توفي النسفي في بلدة إيذج قرب أصبهان٠عام ٧١٠ هـ موقع المكتبة الشاملة نقلا عن الموسوعة العربية العالميةhttp://www.mawsoah.net

(٣) تفسير النسفى"مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج٢ص٦٦٢–دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة الاولى ١٤١٩ هـ–١٩٩٨ م

(٤) السَّمْعاني هو: منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعيّ، أبو المظفر: مفسر، من العلماء بالحديث. من أهل مرو، مولدا ووفاة. كان مفتي خراسان، قدمه نظام الملك على أقرانه في مرو. له (تفاسير السمعاني – خ) ثلاث مجلدات، و (الانتصار لاصحاب الحديث) توفى ١٠٣٥ هـ"الأعلام للزركلى ج٧ ص٢٠٣ ".

(٥) تفسير السمعانى ج٤ص١٢٠، دار الوطن–الرياض، السعودية،الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ،١٩٩٧م

(٦) سورة البقرة الآيه :٨٤

(٧) سورة البقرة، الآيه:٢٤٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾[1].

إن هذة الآيات تدل على أهمية الوطن، والقتال عنة وحمايتة من شرء الأعداء، وأثر إخراج المواطن من وطنة، والأجر المترتب على هذا الإخراج، والحث على التعايش والتوطن مع الآخرين[2]

بل مما يؤكد مكانة الأوطان أن الله سبحانه وتعالى لما أذن للمسلمين فى القتال، علل القرآن ذلك بأن من الأسباب الإخراج من الديار قال تعالى ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[3].

جعل القرآن الكريم الدفاع عن الوطن جهاد فى سبيل الله من خلال الأيات الكريمة يتبين لنا أن الإنتماء الوطنى مغروس فى الفطرة السوية، وأن الأوطان جعلها الله تبارك وتعالى من ضرورات الحياة، ينافح ويدافع عنها صاحبها ، وهذا مشروع كالجهاد فى سبيل الله فالتمسك بالوطن أوالإنتماء غريزة ، نزعة إنسانية أوفطرة مستكنة في النفس الإنسانية قال الخليفة عمر ابن الخطاب" لولا حب الأوطان لخرب بلد السوء"أى أن الوطنية ملازمة للإنسان حتى ولو كان البلد فقيرا وأهلة أشرار[4]

من خلال ما سبق ذكره من الآيات يصبح الإنتماء الوطنى بعدا من أبعاد الإنتماء الإسلامى ، ويكون فى هذة الآيات أبلغ الرد لمن يقولون أن مفهوم المواطنة بعيدة عن الإسلام، إذ كيف يحل لنا الله طعامهم ونكاحهم ثم يزعمون ذلك.

---

(١) سورة ال عمران، الآيه: ١٩٥

(٢) المواطنة فى الإسلام د عبده أبو حميد –مرجع سابق.

(٣) سورة الحج، الآيه:٣٩-٤٠

(٤) مفهوم المواطنة في المنظور الإسلامى، مصدر سابق، ص٤

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1]

٢-النصوص الشرعية من السنة

١-عن انس بن مالك[٢] رضي الله تعالى عنه قال: ((كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر فنظر إلى جدرات المدينة، أوضع راحلتة وإن كان على دابه حركها من حبها)) [٣] قال ابن حجر في الفتح والعيني في عمدة القارئ والمباركفوري في تحفة الأحوذي : فيه دلاله على فضل المدينة وعلى مشروعية حب الوطن والحنين اليه [٤] فهذا تصريح من هؤلاء الائمه رحمهم الله تعالى بمشروعية حب الوطن وبالتالي فمحبة الوطن محبه شرعية , يقترب بها العبد المسلم إلى ربه سبحانه وتعالى . وبالتالى فكل من يعيشون فى الوطن شركاء فى هذة المحبة، لهم من الحقوق ما لغيرهم، وعليهم من الواجبات ما على غيرهم

٢-عن انس ابن مالك رضي الله تعالى عنه أن الرسول ﷺ لما أقدم من خيبر حتى إذا أشرفنا على المدينة نظر إلى أحد فقال: هذا جبل يحبنا ونحبه)) [٥] قال ابن حجر[٦] رحمه الله تعالى في الفتح" قيل هو على الحقيقة ولا مانع من وقوع مثل ذلك بأن يخلق الله المحبة في بعض الجمادات

---

(١) سورةالمائدة، الآيه: ٥

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة: صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلم وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثا. مولده بالمدينة وأسلم صغيرا وخدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها سنة ٩٣ هـ. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة"أنظر الأعلام، ج٢ص٢٤-٢٥

(٣) صحيح البخارى، باب المدينة تنفى الخبث ج٣/٢٣، دار طوق النجاة، الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ

(٤) فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر ج٣ص٦٢١، عمدة القاري شرح صحيح البخارى ١٣٥/١٠ دار إحياء التراث العربى-بيروت، تحفة الأحوذى ص ٩ ج ٢٨٣دار الكتب العلمية-بيروت

(٥) صحيح البخارى، باب من غزا بصبى للخدمة، ج٤ص٣٦، ومسلم فى صحيحة باب أحد جبل يحبنا ونحبة ج٣ص١٠١١ .

(٦) ابن حَجَر هو: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. "٧٧٣ - ٨٥٢ هـ" انظر الاعلام ج١ص١٧٨-١٨٨.

أي محبه الرسول ﷺ "وقيل : هو على المجاز والمراد أهل أحد على حد قوله تعالى ((وسئل القرية) وقال الشاعر : وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار[١].

قال النووي[٢] الصحيح المختار أن معناه أن أحدا يحبنا حقيقة جعل الله تعالى فيه تمييزا يحب به كما قال سبحانه وتعالى وإن منها لما يهبط من خشية الله وكما حن الجذع اليابس وكما سبح الحصى وكما في الحجر بثوب موسى قال وهذا وما أشبهه شواهد لما اخترناه واختاره المحققون في معنى الحديث وإن أحدا يحبنا حقيقة[٣].

فعندما عاش الرسول الله ﷺ في المدينة. والفها وأصبحت موطنه نما في قلبه صلى الله عليه وسلم حبها وحب جبل أحد فيها من حبه ﷺ لها

٣-عن ابن عباس[٤] رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمكة

((ما أطيبك من بلد وما أحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك)) [٥] فهو ﷺالله في مكة يحبها ويكره الخروج منها وعندما هاجر إلى المدينة واستوطنها ألفها ثم لما فتح مكة، وخاف الأنصار إن يقيم فيها قال لهم: ((المحيا محياكم والممات مماتكم)) [٦].

---

(١) فتح البارى، باب من غزا بصبى للخدمة(ج٦ص٨٧)

(٢) النَّوَوِي هو: يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعيّ، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) (٦٣١ – ٦٧٦ هـ) واليها نسبته."الأعلام للزركلى ج٨ص١٤٩-١٥٠

(٣) تحفة الأحوذى، باب فضل المدينة، ج١٠ص٢٩١ .

(٤) ابن عبَّاس: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الامة، الصحابى الجليل.رضى الله عنه، ولد بمكة ٣ ق هـ. ونشأ في بدء عصر النبوّة، فلازم رسول الله صلّى الله عليه وسلم وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها٦٨ هـ. له في الصحيحين وغير هما ١٦٦٠ حديثا. قال ابن مسعود: نعم، ترجمان عباس"الأعلاج٤ص٩٥"

(٥) المصدر السابق، باب مناقب فى فضل العرب ج١٠ص٢٩٥

(٦) صحيح مسلم، باب فتح مكة ج٣ص١٤٥

بل كان يدعو الله إن يرزقه حبها كما في صحيح البخاري رحمه الله تعالى: ((اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد)) [١] وقال السمهودي[٢]: أن معنى كلمة (أو اشد) أي بل أشد[٣] فهو ﷺ يدعو بأن يرزقه الله حب المدينة أشد من حب لمكة لا استشعاره بأنها أصبحت بلده ووطنه التي يحين إليها ويسر عندما معالمها التي تدل على قرب وصوله إليها . فما الذي تغير في الأمر انه صلى الله عليه وسلم عند خروجه من مكة يصرح بحبها وعندما سكن المدينة صرح بحبها أيضا ودعا إن يحبها أكثر من مكة ((وقد صح عنه ﷺ في محبه المدينة مالم يرد مثله في مكة ..... وقد تكرر دعاؤه ﷺ بتحبيب المدينة إليه)) [٤]

ومثلما دعاء بحبها فقد دعا لها كما في الصحيحين : ((اللهم اجعل المدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة)) [٥] وفي مسلم ((اللهم بارك لنا في تمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا اللهم أن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة , وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعا لمكة ومثله معه)) [٦] ومن دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة ودعاء محمد ﷺ للمدينة يظهر – والله أعلم – أن سبب الدعاء ليس أفضلية البقعة فحسب , وإنما لكون كل منهما دعا لموطنه , وموطن أهله , ومستقر عبادته ,كما في دعائه ﷺ الذي أورده السمهودي أن ﷺ إذا أقبل على المدينة قال : ((اللهم أجعل لنا بها قرارا وزرقا حسنا)) [٧] المهم أن نلحظ أن حب النبي ﷺ تأثر بالبيئة التي عاش فيها , فقد كان يحب مكة, ويحن إليها وثم لما

---

(١) صحيح البخارى، باب من دعا برفع الوباء والحمى، ج٧ص١٢٢، صحيح مسلم، باب الترغيب فى سكن المدينة والصبر ج٢ص١٠٠٣

(٢) هو: علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعيّ، نور الدين أبو الحسن: مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها. (٨٤٤ – ٩١١ هـ = ١٤٤٠ – ١٥٠٦ مولد في سمهود (بصعيد مصر) ونشأ في القاهرة. واستوطن المدينة سنة ٨٧٣ هـ وتوفي بها، (الأعلام للزركلى ج٤ص٣٠٧)

(٣) منار القاري شرح مختصر صحيح البخارى، كتاب فضائل المدينة ج٣ص١٨٦ مكتبة دار البيان –دمشق– سورية، مكتبة المؤيد–الطائف–السعودية،١٤١٠هـ،١٩٩٠ م

(٤) حب الوطن من منظور شرعى، مرجع سابق، ص١١

(٥) صحيح البخارى، باب المدينة تنفى الخبث، ج٣ص٢٣

(٦) صحيح مسلم، باب فضل المدينة، ج٢ص١٠٠٠، حديث رقم ١٣٧٣ .

(٧) منار القاري، شرح صحيح البخارى، باب من أسرع ناقتة إذا بلغ المدينة، ج٣ص١٦٣، مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها للخرائطى، باب ما يستحب للمسافر إذا نزل منزلا(ص٢٦٧)دار الأفاق العربية،القاهرة ١٤١٩هـ–١٩٩٩م .

عاش في المدينة وألفها أصبح يدعو الله أن يرزقه حبا لها , يفوق حبه لمكة وصار بعد ذلك يصرح بحبها ويحن إليها ويفرح إذا أقبل عليها، ومن هذا يظهر ولله أعلم أن الحب هنا متصل بالنشأة في مكة ثم في المدينة وليس لما لهذين البلدين من فضيلة خاصة وذلك لأمرين[١].

الأول: أن مكة – عند أكثر أهل العلم – أفضل من المدينة والصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في المسجد النبوي وبحديث الرسول ﷺ ومع ذلك فهو يدعو بحب المدينة أكثر من مكة ويدهوا بالبركة أكثر من مكة.

الثاني: لو كان معنى الوطن هو الوطن العقيدة فقط، دون النظر الى الوطن النشأة، لما سمي إخراج الرسول ﷺ وأصحابه من مكة إخراجا من الوطن لأنهم خرجوا من مكة وهي دار شرك إلى المدينة بعد أن أصبحت مأوى للمؤمنين يقول الله سبحانه وتعالى: ((إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا)) [٢].

ويقول العيني[٣] رحمه الله تعالى : " ابتلى الله سبحانه وتعالى نبيه بفراق الوطن "[٤] وعلى هذا فالمتبادر أن ﷺ وسلم مرتبط ببلده , وان كان لمكة ميزة شرعيه فهذا أمر أخر , استدعى حبا على حب , وتعلقا على تعلق أما المدينة فمزيتها , وفضيلتها جاءت تابعا لكونها بلد الرسول صلى الله عليه وسلم فحب الرسول ﷺ للمدينة سابق على فضيلتها سبقا زمنيا إذ قبل مجيئه أليها وسكنه فيها ومحبته لها لم يمكن لها مزية أو فضيلة وتبعا لذلك فمحبة الوطن والدعاء له أمر مشروع[٥] وحيث أن التعلق بالوطن مشروع، فإن لإهلة حقوق وواجبات، ليس لأحد الإفتراء عليها ، أو حرمان أهلها منها.

---

(١) حب الوطن من منظور شرعى، مصدر سابق، ص١١

(٢) سورة التوبة، الآيه: ٤٠

(٣) هو: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في عينتاب ٧٦٢ هـ(وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس. وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتوفى ٨٥٥ هـ"الأعلام ،ج٧ص١٦٣"

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخارى، باب كراهية النبى صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة(ج١٠ص٢٥١)، دار إحياء التراث العربى،بيروت

(٥) حب الوطن من منظور شرعى، ص١١

– قال الازرقي[١] في أخبار مكة: "حدثني جدي قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن قال: سمحت طلحة بن عمر يقول: قال ابن ام كلثوم رضي الله تعالى عنه وهو أخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ وهو يطوف حبذا مكة واد بها أرضي وعوادي بها ترسخ أوتادي بها أمشي بلا هادي قال ابو داود: "ولا أدري يطوف بالبيت أو بين الصفا والمروة" [٢].

وحينما أمر الله تبارك وتعالى نبيه بالهجرة من مكة "موطن النشأة وأرض الميلاد"إلى المدينة المنورة، تأمل في أم القرى ونظر إليها وبين حبة لها ورغبتة في العيش فيها ولكن قومى إضطرونى للخروج منكى"قال ابن عباس: لما خرج النبي ﷺ من مكة واختفى بالغار ثم خرج مهاجرا إلى المدينة، التفت إلى مكة ثم قال «إنك لأحب البلاد إلى الله، وأحب البلاد إلي، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت[٣] وفى رواية أخرى ((ما أطيبك وأحبك إلي، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما سكنت غيرك))[٤]

٤– بل مما يؤكد حب النبى ﷺ لمكة موطنة وموطن آبائة ما أخرجة البخارى عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ((لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وعك أبو بكر، وبلال، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله... والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته يقول:

---

(١) الأزرقي محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق. أبو الوليد الأزرقي: مؤرخ، يماني الأصل، من أهل مكة.تاريخ الوفاة: ٢٩٧ هـ قاله صاحب "كشف الظنون".له (أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار(الأعلام للزركلى ج٦ص٢٢٢)

(٢) أخبار مكة للأزرقى، باب تذكر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابة مكة (ج٢ص١٥٤)دار الأندلس للنشر– بيروت

(٣) المعجم الكبير للطبراني، (ج١٢ص٣٦١) مكتبة بن تيمية–القاهرة، الطبعة الثانية،أخبار مكة للأزرقى(ج٢ص١٥٥)

(٤) تفسير الطبرى، ج١٨ص٣٤٥

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر[١] وجليل[٢]،

وهل أردن يوما مياه مجنة[٣]

وهل يبدون[٤] لي شامة وطفيل[٥] ،

قال: اللهم العن شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء، ثم قال رسول الله ﷺ : «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا، وصححها لنا، وانقل حماها إلى الجحفة[٦]»، قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله[٧] فيدعوا النبى ﷺ بالطرد واللعن على من أخرجة من مكةهو وأصحابة الذين يحنون إلى العودة إلى الديار، بل يدعوا النبى ﷺ ربه أن يحبب إليه المدينة كحبة لمكة أوأشد ليتحمل العيش بعيدا عنها ٠ فبلال رضي الله تعالى عنه (يتمنى الرجوع إلى وطنه) وتمني الرجوع إلى الوطن فرع عن حبه له , وإذا أخذته الحمى ظهر ما في مشاعره , وأحاسيسه تجاه وطنه بهذين البيتين يتمنى فيهما يوما أو ليلة يقضيها في الوطن , ثم يعب على ذلك بلعن الذين كانوا السبب في إخراجه من الوطن يقول ابن حجر رحمه الله تعالى : ((وقوله : (كما أخرجونا) أي أخرجهم من رحمتك كما أخرجونا من وطننا[٨] وفي نهاية الحديث أقرار من الرسول ﷺ لهذا الحب , فلم ينكر على بلال . بل دعا أم يحبب إليهم المدينة كحبهم لمكة. أو أشد حبا من مكة ودعاؤه ﷺ بإيجاد هذا الحب، دليل على مشروعيته، والرغبة فيه والحرص عليه[٩].

٥- عن ابن شهاب الزهري رحمه الله تعالى قال : ((٠قدم أصيل الغفاري رضي الله عنه تعالى قبل أن يضرب الحجاب على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فدخل على عائشة رضي الله

---

(١) إذخر: نوع من الحشيش

(٢) جليل: نوع من النبات

(٣) مياة مجنة: ماء عند عكاظ قريبا من مكة

(٤) يبدون: يظهرون

(٥) شامة وطفيل: جبلان على نحو ثلاثين ميلا من مكة وقيلا هما عينا ماء٠

(٦) الجحفة: ميقات أهل الشام ومصر والمغرب والآن تسمى رابغ

(٧) صحيح البخارى، باب كراهية النبى صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة ج٣ص٢٣ ،حديث رقم١٨٨٩.

(٨) فتح الباري (٧ص٢٦٣)

(٩) حب الوطن من منظور شرعى، ص١١

تعالى عنها فقالت له : يا أصيل كيف عهدت مكة . قال : عهدتها قد أخصب جنابها وابيضت بطحاؤها . قالت له : يا أصيل كيف عهدت مكة ؟ قال : والله عهدتها قد أخصب جنابها وابيضت بطحاؤها , وأغدق إذخرها واسلت ثمامها وأمش سلمها فقالت : يا اصيل لا تحزنا)) [١] وفي رواية أشار إليها ابن حجر في الاصابة قال : ورواه أبو موسى في الذيل من وجه أخر .... بسنده قال: قدم أصيل الهذلي فذكره بنحوه باختصار وفيه: فقال النبي ﷺ ويهأ يا اصيل دع القلوب تقر)) [٢] فالحديث عن الوطن اثار المشاعر، وحركت المحبة والقلوب له، المملوءة حنينا وشوقا اليه. وهذا نبينا ﷺ قدوتنا فلا عجب حينئذ من متأس متقد به، متبع لخطاه في محبه الوطن والشوق اليه والتزام في ذلك في سلوكه وحياته[٣]

-ثانيا: أحكام الصحيفة التي وضعها الرسول ﷺكدستور للمدينة "صحيفة" المدينة تأسيس وتأصيل للمواطنة في الإسلام، قال ابن إسحاق[٤]: "وكتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم، وتبدأ الصحيفة بما يلي: " باسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم (أي على أمرهم الذي كانوا عليه)، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين (عانيهم أي أسيرهم). وجاءت "الصحيفة" على ذكر أسماء كثير

من القبائل، كبني عوف، وبني الحارث وبني جشم، وبني النجار، وبني عمرو بن عوف، وبني النبت، وبني الأوس، إلى أن أتت على ذكر اليهود، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا

---

(١) اخبار مكة للأزرقى، باب تذكر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابة مكة (ج٢ص١٥٥)

(٢) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى، (١٤٤/١) دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ

(٣) صفوة التفاسير، محمد على الصابونى ج٣ ص١٩٣، دار الصابونى للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة، الطبعة الاولى ١٤١٧هـ،١٩٩٧م.

(٤) ابن اسحاق هو: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: من أقدم مؤرخي العرب.من أهل المدينة. له (السيرة النبويّة – ط) هذبها ابن هشام. ومن الأصل أجزاء مخطوطة كتبت سنة ٥٠٦ هـ في خزانة القرويين بفاس ، زار الإسكندرية سنة ١١٩ هـ وسكن بغداد فمات فيها، ودفن بمقبرة الخيزران أمّ الرشيد.عام ١٥١ هـ وكان جده يسار من سبي عين التمر. قال ابن حبان: لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه، وهو من أحسن الناس سياقا للأخبار (الأعلام للزركلى ج٦ص٢٨)

محاربين، وأن يهود بني عوف أمة من المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، وأن جفنة بطن من ثعلب كأنفسهم (جفنة هم عدد قليل من الناس، ولكن عدهم الرسول ﷺ وأعطاهم حقكم مع عددهم القليل)، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وأن يهود الأوس ومواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة " .

كان أول لقاء بين الإسلام نظام للدولة وبين غير المسلمين – مواطنين في الدولة الإسلامية، هو الذي حدث في –المدينة المنورة– غداة هجرة الرسول إليها، هناك كتب النبي ﷺ، أو أمر بكتابة الصحفية، التي يعرفها التاريخ الإسلامي السياسي باسم صحيفة المدينة، أو دستور المدينة أو كتاب النبي إلى أهل المدينة ، و هذه الوثيقة تجعل غير المسلمين المقيمين في دولة المدينة مواطنين فيها، لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين، وعليهم من الواجبات مثل ما على المسلمين، إلا ما أستثني بنص أو إجماع، وذلك مقتضى الشراكة في الوطن الواحد "، وهذه الوثيقة لم يفرضها الرسول ﷺ، وإنما جاء كثمرة لمشاورات مع المهاجرين والأنصار والجماعات اليهودية، التي كان لها حضور في المدينة، وبنود هذه الوثيقة مبنية على أُسس ثابتة، وعلى قواعد شرعية .

والوثيقة أعطت "حق المواطنة" للمقيمين في المدينة من مهاجرين وأنصار ويهود وغيرهم، بصرف النظر عن العقيدة، وجعلت غير المسلمين في دولة المدينة مواطنين فيها، لهم من الحقوق Rights مثل ما للمسلمين، وعليهم من الواجبات ما على المسلمين طبقا للمبدأ الفقهي العام، "**لهم مالنا وعليهم ما علينا** " إذ على أساس قاعدة المساواة في الحقوق Rights والالتزامات بين اليهود والمسلمين والنصارى وغيرهم، التي تشكل المجتمع الإسلامي، وهذا ما أسماه عياض بن عاشور" المجتمع السياسي في المفهوم الإسلامي يحتوي على الأمة المسلمة وغيرها من المجموعات غير المسلمة، وسوف يتم التعرض للصحيفة تفصيلا إن شاء الله من خلال البحث

ثالثا: وحدة المصالح المشتركة والأمال والالام:

إن الوطن وعاء المواطنة، فمصالحة واحدة ، وأمالة يجعلة عزيزا كريما وسيدا محصنا منيعا هى واحدة، والالام والمضار التى قد تجعلة معرضا للمخاطر مشتركة، كل ذلك يدفع المواطن إلى الإلتفاء مع بقية المواطنين على خطة واحدة وعمل واحد، سواء بالتحرر من الدخيل المحتل ،

أوبنائة على أسس قوية تحمية من كل ألوان العدون والتخلف وصونة من الأزمات والإنتكاسات ، لأن الخير للجميع، والسوءأو الشر يعم الجميع، وهذا يدفع المواطنين جميعا إلى الوقوف صفا واحدا، والتعاون يد واحدة لرفع كيان الوطن وصونة وعزتة وكرامتة مما يجعل وعاء المواطنة حقا عاما لإستيطان جميع المواطنين[١]

ومما يؤكد رسوخ مبدأ المواطنة في الإسلام وأن حب الأوطان يشترك فية الجميع مؤمنهم وكافرهم أن النبى ﷺ مات ودرعة مرهونة عند يهودى، ومات متأثرا بالسم الذي وضعتة اليهودية في الشاة له ﷺ، وعيادته للصبى اليهودى في بيته، وسيأتى ذكر ذلك تفصيلا في بابه أن شاء الله تعالى.

(١) المواطنة في المنظور الإسلامى ،مصدر سابق ، ص٤.

المطلب الثانى

المواطنة في الفقة الإسلامى:

المفهوم العام للمواطنه

المواطنة السياسية بمعناها الأخير ليست توجها صحيحا في معيار الفقة الإسلامى فهو وإن ألغى في تشريعة كثير من الفوارق بين البشرية جمعاء فضلا عن الوطن الواحد بأى من معانية، إلا أنة أقر فوارق لدى العقلاء، ووضع فوارق أخرى بمقايسة الخاصة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[2] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[3]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾[4]

ألغى الشارع الحكيم فارق العرق والدم واللون والمكان، لكنة أسس أخرى–كما فى هذة الآيات وفى غيرها–وهو العليم الخبير، ومما لا يحتاج إلى بيان أن التوجة العلمانى لا يرى للدين ومدى الإلتزام به دورا فى التفاضل بين البشر كما هو الحال فى الشرائع السماوية.[5]

فمن المعلوم أن المسلم كالسمك فى الماء لا وطن له، فجميع البلاد التى تسودها الشريعة الإسلامية وتطبق فيها أحكام الإسلام هى وطن المسلم، والتوفيق بين الإنتماء للوطن والإنتماء للأمة فى

---

(١) سورة النساء، الايه:٩٥

(٢) سورة النساء، الآيه :٣٤

(٣) سورة الحجرات، الآيه :١٣

(٤) سورة النساء، الآيه :٣٢

(٥) حقوق المواطنة وواجباتها فى ضوء الكتاب والسنة، مرجع سابق،ص٤

التصور الإسلامى سهل واضح لأن الإسلام وضع منهجا واضحا للدفاع عن الوجود الوطنى بالبدء بأهل الدار، ثم الإنتقال إلى الوطن الصغير ثم الإنتقال إلى الجوار، ثم الأقرب فالأقرب حتى يعم جميع البلدان والأقطار في العالم الإسلامى شرقا وغربا[١]

كما أن الميل للوطن بالمعنى الإقليمى الضيق لا يمنع من الميل للأمة المتحدة في أفكارها وعقيدتها، فالمواطنون في الوطن الضيق شركاء في المغانم والمغارم وهى الدائرة الأولى، ثم تتسع الدائرة من أجل تحقيق وحدة المسلمين وقوتهم وصون عزتهم وكرامتهم لتشمل جميع الأمة الإسلامية، وهذا يتطلب التعاون الدائم وحلقات التعاون يؤزر بعضها بعضا فلا تصان الحياة الإجتماعية إلا بخطوط دفاع متلاحقة الواحد يتلوا الأخر، وينصب الخير في النهاية في مصلحة الجميع[٢]

لم يستعمل القرآن الكريم ولا السنة النبوية الشريفة لفظة (وطن)، ولكن القرآن الكريم استعمل لفظ (بلد) فهناك سورة في القرآن الكريم باسم سورة (البلد) وهي السورة رقم (٩٠) في المصحف الشريف، يقول الله تعالى في مطلعها : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾[٣] واستعمل لفظ "بلدة" قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبّٞ غَفُورٞ ﴾[٤] ، و لفظة (بلاد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾[٥] ولفظة ديار قال تعالى ﴿ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٦] وورد في الآثر "أن حب الوطن من الإيمان"[٧] فهذا القول وإن لم يكن حديثا إلا أنه يبين أن من المظاهر الإيمانية للإنسان

---

(١) مفهوم المواطنة من المنظور الإسلامى، مرجع سابق، ص٤

(٢) المصدر السابق، ص٥

(٣) سورة البلد، الآيه :١

(٤) سورة سبأ الآيه:١٥

(٥) سورة الفجرالآيه: ٨

(٦) سورة البقرة، الآيه:٢٤٦

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، باب السواك (٣٧/١)، وباب ذكر الموت (١٠/٥) الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر –بيروت– لبنان–الطبعة الرابعة ١٤٢٥ هـ–٢٠٠٤ م ،وقال عنه السخاوى في المقاصد الحسنة (٢٢٧/١) لم أقف عليه ومعناة صحيح ،وقال عنة الشيخ الألبانى في سلسلة الاحاديث الضعيفة(ج١ص١١٠) موضوع. كما قال الصغاني وغيره.ومعناه غير مستقيم إذ إن حب الوطن كحب النفس والمال ونحوه، كل ذلك=

أن يحب وطنة ، فلا ينظر الإسلام إلى المواطنة بمفهوم (إسلامية المسلم فى مجتمعة الخاص)على أنها حركة مغلقة، بل هى حركة منفتحة، فإقامة المجتمع المسلم المتماسك يستهدف الإنفتاح على ما وراءه إنفتاحا إيجابيا إلى المجتمعات المسلمة للتوحد معها والإسهام فى حمل همومها ، وإلى المجتمعات الأخرى للإسهام فى إعلاء القيم الإنسانية التى تحقق للعالم تعايشا سلميا وتفاعلا حضاريا نافعا ، إن الإسلام لم يأت ليمنع ما فطر عليه الناس ، لكن ليهذب ذلك المعنى فهو يعترف بعملية الإنتماء الإجتماعى للأسرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾[1] والقبيلةقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾[2] والدولة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ ﴾ [3]

وجعلها أحد مقاصد الحياة الإجتماعية ونسب القرآن الرجل لبلادة، ولكنة في الوقت ذاته أكد على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم "ليس منا من دعا إلى عصبية"[4] أو جاهلية أو قومية وأحداث السيرة مليئة بشواهد كثيرة في هذا المعنى .

والإيمان بأركان وأصول واحدة، والإتحاد في تطبيق أركان الإسلام يجعل الإخوة الإسلامية صمام أمان أقوى وأمنع، وهي أيضا تفيد أهل الوطن الضيق من تطلع الأعداء إلية، فلا يكون الإخاء الإسلامى العام متصادما مع الشعور الخاص بين أبناء الوطن الصغير فكلاهما يساند الآخر[5]

غريزي في الإنسان لا يمدح بحبه ولا هو من لوازم الإيمان، ألا ترى أن الناس كلهم مشتركون في هذا الحب لا فرق في ذلك بين مؤمنهم وكافرهم؟ !(سلسلة الأحاديث الضعيفة،دار المعارف–السعودية،الطبعة الأولى١٤١٢هـ–١٩٩٢م

(١) سورة الأحزاب الآيه:٥

(٢) سورة الحجرات الآيه:١٣

(٣) سورة يوسف الآيه: ٢١

(٤) رواه ابو دواد في سننه (ج٧ص٤٤١)، دار الرسالة،الطبعة الأولى ١٤٣٠هوشرح السنة للبغوى(ج١٣ص١٢٢) المكتب الإسلامى–بيروت،سنة النشر ١٤٠٣هـ وقال الشيخ الألبانى"ضعيف" انظر:ضعيف الجامع وزيادتة برقم ٤٩٣٥ ص٧١١،المكتب الإسلامى–بيروت٠

(٥) مفهوم المواطنة من المنظور الإسلامى، مصدر سابق، ص٥

إن الأمة الإسلامية القائمة على بنية المجتمع المتعدد المذاهب والأعراض والغايات في أى قطر إسلامى تؤمن بعقيدة واحدة، وتظلها شريعة واحدة، وتربطها إخوة واحده كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1] فهى أمة خالدة على مدى التاريخ لا تفرقها المصالح الصغيرة ولاتفكك رابطتها الجامعة القضايا الجانبية، فكان المصطلح الإسلامى هو التعبير "بالأمة الواحدة "وليس بالشعب الواحد.

وتكون المواطنة في الإسلام في أصل مفهومها أوسع من الحدود الجغرافية الإقليمية الضيقة للوطن الإسلامى ويكون كل فرد مسلم أومعاهد مواطنا، لأنة عضو من الأمة الإسلامية لة كل الحقوق وعلية كل الواجبات[2].

ولذلك يصرح الفقهاء دائما حين يتكلمون عن الذمى يقولون" من أهل دار الإسلام"[3].

وهكذا نرى مفهوم المواطنة من المنظور الإسلامى تقوم على **المعنى العام** للمواطنة وليس المعنى العرقى أوالمذهبى التى تقوم علية المواطنة الغربية التى شاعت في أوساط المسلمين، وجعلت المسلمين فرقا واحزابا وجماعات تقوم على االتفرقة والعدواة وصدق الله ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة الحجرات الاية :١٠

(٢) المبسوط للسرخسى ج٣٠ص٣٣،دار المعرفة–بيروت، ١٤١٤ هـ–١٩٩٣ م،البناية شرح الهدايةج٧ص٢٦١ ،دار الكتب العلمية،بيروت،١٤٢٠هـ ،بدائع الصنائع، ج٢ص٣٣٩،دار الكتب العلمية،الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ١٩٨٦م،مغنى المحتاج ج٣ص٦٠٨،دار الكتب العلمية،١٤١٤ هـ١٩٩٤م ،المغنى ج٩ص٢٨،مكتبة القاهره، ،شرح منتهى الارادات ج٢ص٣٦٤،دار عالم الكتب،الطبعةالأولى ١٤١٤هـ.

(٣) مفهوم المواطنة من المنظور الإسلامى،المصدرالسابق،ص٥

(٤) سورة المؤمنون،الآيه ٥٢–٥٣

المطلب الثالث

تحديد مصطلح المواطنة فى الفقة الإسلامى

المواطنة رسما لامعنا لفظة غريبة المنبت فهى مترجمة وجديدة على الفكر الإسلامى، دخل هذا المصطلح اللغة السياسية العثمانية بصيغة أعم هى "وطن"مع بداية دخول الحداثة الأوربية إلى الإمبراطورية العثمانية، وأول مرة إستخدمت فيها كلمة "وطن "كانت فى فرمان سلطانى هو خط كلخانة فى يوم السادس والعشرين من شعبان ١٢٥٥هـ الموافق الثالث من نوفمبر ١٨٩٣م حيث ورد مصطلح وطن فى موضعين:

الأول: عندما تحدث الخط العثمانى الذي تتزايد غيرتة يوما فيوم على دولته وملتة ومحبتة لوطنة.

والثانى: عندما أعتبر مهمة العساكر هى محافظة الوطن[١]

وهذة تعد المرة الأولى التى يشير فيها المسلمون إلى الوطن وليس إلى الأمة، والتاريخ الإسلامى حافل بإستخدام مصطلح "الأمة الإسلامية" .

وقد إتهم بعض المستشرقين مثل"برنالد لويس" الذي يؤكد أن مفهوم المواطنة فى الفكر العربى مفهوم غير أصيل إن لم يكن غريب تماما عن الإسلام بحجة إن لفظة "مواطن "بالمفهوم الغربى الذي يعنى المشارك فى الشئون المدنية غير موجود فى اللغة العربية واللغات الفارسية والتركية وشاركة هذا الرأى عدد من المفكرين العرب مثل محمد عابدالجابري وزعم أنة ليس فى مخزون العرب اللغوى، وبالتالى الفكرى والوجدانى ما يفيد ما نعنونة اليوم باللفظين "المواطنة" و "المواطن"[٢]

---

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك المحامى، ص٤٨١-٤٨٤، دار النفائس-بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ-١٩٨١م.وسمى خط كلخانة نسبة إلى المكان الذي ألقى فية، فى عهد السلطان عبد المجيد خان.

(٢) المواطنة فى الفكر الإسلامى المعاصر بين الضرورة والإمكان، سمير ساسي، مجلة آفاق، مقال منشور ٢٠١١/٥/٢٤، وانظرأيضا جدلية الهوية والمواطنة فى مجتمع متتعدد الثقافات"٣" ،د.عبد الحسين شعبان،موقع مثقف،شبكة المعلومات الدولية،

فى حين خالف آخرون هذا الرأى وذهبوا إلى القول بأن جذور إستعمال المفهوم ومعانية تعود إلى فترة الإصلاحية الإسلامية الحديثة حيث غلبت الإشكالية السياسية على غيرها من الإشكاليات، وبالتحديد مع "تلخيص الإبريز فى تلخيص باريز" للطهطاوى فى مطلع الربع الثانى من القرن التاسع عشر إلى "الخلافة أو الإمامة العظمى "لرشيد رضا فى نهاية الربع الأول من القرن العشرين(١)

ويرى عبد الوهاب الأفندى: أن مصطلح "مواطن"يرد للدلالة على الفرد الكامل العضوية فى المجتمع السياسى، له حقوق وواجبات، وله ما يعادلة فى المصطلح الإسلامى التقليدى وهو كلمة "مسلم"ويرجع ذلك إلى أن هوية المجتمع الدينى والسياسى فى بدايات المجتمع الإسلامى كانت من المسلمات حيث كان يتمتع الفرد بحكم كونة مسلما بعضوية فورية وكاملة فى المجتمع السياسى وبالمعنى الإيجابى للمواطنة النشطة(٢)

ويحمل الحديث المشهور هذا المفهوم٠"المسلمون ذمتهم واحدة ويسعى بذمتهم أدناهم ومن حقر مسلما فعلية لعنة الله والملائكة والناس أجمعين "(٣) وقول المعلق على البخارى أن لفظة المسلمين تشمل النساء والأطفال(٤).

ومما لا شك فية أن مصنفات الفقهاء لم تعرف مصطلح "وطن"بالمعنى السياسى المعاصر وهو الإنتماء لبقعة جغرافية معينة تحت سلطة معينة، وإنما المصطلح الذي كان يستعملة الفقهاء للتعبير عن البقعة الجغرافية التى يقطنها المسلمون ويسطون عليها هو "**دار الإسلام**"وإن استخدم الفقهاء لفظة وطن عند الحديث عن أحكام آخرى كأحكام السفر وغير ذلك ٠

والقاطنون فى دار الإسلام كان يطلق عليهم أهل دار الإسلام "مسلمون وذميون" ومصنفات الفقهاء مملوءة بالأحكام التى تخص هذا الجانب من حقوق وواجبات متبادلة بين الحاكم والرعية كما سيتضح بيانة لاحقا من خلال البحث

---

(١) المصدر السابق

(٢) المواطنة بين الدين والعلمانية: لبنان نموذجا، محمد جودى، مجلة عود الندى: الناشر د.عدلى الهوارى، شبكة المعلومات الدولية.

(٣) السنن الكبرى للبيهقى، باب أمان العبد، ج٩ص١٥٩، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

(٤) شرح صحيح البخارى، لابن بطال، ج٥ص٣٥١، مكتبة الرشد، السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٣م

فالتعريف الإسلامى للمواطنة ينطلق من خلال القواعد والأسس التى تبنى عليها الرؤية الإسلامية لعنصرى المواطنة وهما "الوطن والمواطن"وبالتالى فإن الشريعة الإسلامية ترى أن المواطنة هى تعبير عن الصلة التى تربط بين المسلم كفرد وعناصر الأمة، وهى الأفراد المسلمين، والحاكم والإمام، وتتوج هذة الصلات جميعا الصلة التى تجمع بين المسلمين وحكامهم من جهه، وبين الأرض التى يقيمون عليها من جهه أخرى(١). وبمعنى آخر فإن المواطنة هى تعبير عن طبيعة وجوهر الصلات القائمة بين دار الإسلام وهى "وطن الإسلام "وبين من يقيمون على هذا الوطن أو هذة الدار من المسلمين وغيرهم(٢).

ويؤكد ذلك القحطانى بقوله: إن مفهوم المواطنة من المنظور الإسلامى هى"مجموعة العلاقات والروابط والصلات التى تنشأ بين دار الإسلام وكل من يقطن هذة الدار سواء أكانوا مسلمين أم ذميين أم مستأمنين(٣).

ومعنى ذلك أن مصطلح المواطنة يستوعب وجود علاقة بين الدولة أو الوطن والمواطن وأنها تقوم على الكفاءة الإجتماعية والسياسية للفرد، كما تستلزم المواطنة الفاعلة توافر صفات أساسية في المواطن تجعل منة شخصية مؤثرة في الحياة العامة، والتأثير في الحياة العامة والقدرة على المشاركة في التشريع وإتخاذ القرارات

كما أن هناك مستويات للشعور بالمواطنة: –

١) شعور الفرد بالروابط المشتركة بينة وبين بقية أفراد الجماعة كالدم والجوار والموطن وطريقة الحياة بما فيها من عادات وتقاليد ونظم وقيم وعقائد ومهن وقوانين وغيرها
٢) شعور الفرد باستمرار هذة الجماعة على مر العصور، وأنة مع جيلة نتيجة للماضى وأنة وجيلة بذرة المستقبل .
٣) شعور الفرد بالإرتباط بالوطن وبالإنتماء للجماعة، أى إرتباط مستقبلة بمستقبلها وإنعكاس كل ما يصيبها على نفسه وكل ما يصيبة عليها

---

(١) الإتجاهات المعاصرة فى تربية المواطنة، د.فهد إبراهيم الحبيب، مقال بمجلة أفاق، كتب فى ٢٠١٠/٥/١٩.
(٢) مواطنون لا ذميون، فهمى هويدى ص١٣، دار الشروق
(٣) الإتجاهات المعاصرة فى تربية المواطنة، مصدر سابق

٤) إندماج هذا الشعور في فكر واحد وإتجاة واحد وحركة واحدة [١]

فغياب مصطلح المواطنة كما يردد المستشرقون ومن سار على نهجهم عن الأدبيات الإسلامية لا يعنى غياب جوهرة ٠فكما لكل مصطلح تاريخ مفهومى وحدود واضحة [٢] فإن لمبدأ المواطنة جذور فى الإسلام وقد أقرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى صحيفة المدينة، وما تقرر فيها من أحكام تقوى معالم المواطنة والركائز التى تقوم عليها وهي"العدالة، المساواة، الحرية"

مما يجعل لمبدأ المواطنة جذور عميقة فى الفقه الإسلامي كذلك "صحيفة الحديبية" التى يعتبرها المستشرقون أكثر قربا لمفهوم المواطنة بمعناة الحديث لأنها جسدت إتفاقا ذو صبغة دنيوية وليست دينية بين فئات متساوية فى القوة والتأثير عندما وافق النبى محمد ﷺ لتوقيع عليه باسمه (محمد بن عبد الله) أى من دون ذكر صفتة الدينية كرسول لله جل شأنة٠٠٠تم هذا الإتفاق بمحض إرادة المساهمين فية[٣] وسيتضح ذلك من خلال البحث إن شاء الله٠

والمواطنة فى مفهومها المعاصر تركن إلى فلسفات معينة، فالمواطنة الغربية مثلا ترتكز على مبادئ الفلسفة الليبرالية حيث تعلوا فبها قيمة الفرد ، وأما المواطنة فى الفقة الإسلامى فإنها ترتكز على الأحكام والقيم التى تحدد الحقوق والواجبات فى مختلف جوانب الحياة ، والذى يعنينا منها هو جانب الوطن ، فإن كان مواطنوا المجتمع كلهم مسلمين فالأمر واضح فى تساويهم فى الحقوق والواجبات المتبادلة بينهم وبين دولتهم ، وإن كان فى المجتمع بعض ممن يدينون بغير الإسلام ، فمن حق هؤلاء وفقا لما تقرر فى الشريعة التمتع بحقوق المواطنة تحت مظلة شرعية تحمى حرياتهم الدينية ومصالحهم المادية والسياسية دون غبن أوجور، وقد شهد التاريخ بالموقع

---

(١) المصد السابق

(٢) يقول برهان غليون في مقالة:الدول لا تبنى على مفهوم الأخوة الدينية"لو نظر العرب المسلمون إلى تراث اليونان الفلسفى على أنة خاص باليونانين،ونظر الغرب إلى التراث العلمى العربى على أنة خاص بالعرب ،لما تطورت الفلسفة ولا إرتقى التفكير العلمى ولا تقدمت الحضارة،ليسن المشكلة في إقتباس المفاهيم ولا في التعامل مع ما يرد علينا من مجتمعات آخرمن مكتسبات وإبداعات فكرية أوتقنية مادية ٠ المشكلة في منهج التعامل معها: الإقتداء اوالأخذ بها من دون مناقشة أو التفاعل معها كمنتجات للعقل وإخضاعها للنقد والتساؤل ٠ فالإقتداء يعنى نسخ ثمرات تجربة جاهزة،ولا يمكن إلا أن يقود إلى معرفةخاطئة٠وبالعكس ٠(مجلة الوفاق،حوار مع سمير ساسي بتاريخ٢٠١٠/٥/٢٩) أقول الباحث :وهو عين ما ينظر إليه الفقة الإسلامى

(٣) د. عبد الغنى الجميلى، مصدر سابق،ص١٦

المتميز لغير المسلمين فى المجتمع الإسلامى، بل إن الملاحظ أن حقوق المسلمين فى مجتمعات كثيرة فى تاريخة قد قيدت أو صودرت خلافا لحقوق غير المسلمين[1] وكما يحدث فى وقتنا الحاضر من منع الأذان فى بعض الدول الأوربية، ومنع إرتداء الحجاب وغير ذلك من شعائر الإسلام، وإنتهاك حرمات الأماكن المقدسة، وغيرذلك.

والمواطنة فى الفقة الإسلامى ليست مصدر للحقوق، وإنما مصدر الحقوق هو الشريعة الإسلامية، وهو ما يميز المواطنة من المنظور الإسلامي.

وفى القرآن الكريم مضامين تجسيد ملامح عامة لمفهوم المواطنة وإمكانيات تطبيقاها على أرض الواقع وقد قام هذا الفقة على مبادئ ثلاثة:

١- المساواة (الناس سواسية) قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[2] النحل: ٩٠ وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[3]

وبالمقابل الإعتراف بلآخر الدينى من خلال إحترام المسلمين لأهل الكتاب والصابئة ومنحهم حرياتهم الدينية .

٢- تكافؤ الفرص لكل الأجناس المنخرطة في الدين الإسلامى عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما -قال: " خطبنا رسول الله - ﷺ - في وسط أيام التشريق خطبة الوداع، فقال: " يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي،

---

(١) جاء فى كتاب: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطى(٢/٢٠٠) أن الحسن ابن خاقان الشاعر المصرى أنشد يقول :

يهود هذا الزمان قد بلغوا ... غاية آمالهم وقد ملكوا=

العز فيهم والمال عندهم ... ومنهم المستشار والملك

يا أهل مصر إني نصحت لكم ... تهودوا قد تهود الفلك

وسبب ذلك كثرة سيطرة غير المسلمين على مقاليد الأمور وتعين أبو سعد التستورى اليهودى مدبرا لشئون الدولة في زمن "المستنصر"(المصدر نفسة، طبعة دار إحياء الكتب العربية،١٣٨٧هـ-١٩٦٧م

(٢) سورة النحل، الآيه :٩٠

(٣) سورة الحجرات، الآيه: ١٣

ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟ "، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: " فليبلغ الشاهد الغائب "[١] وتوزيع المسئولية على الرعايا دون تمييز " قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾[٢] وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»، [٣]

مشاركة المسلم للدولة في مهمة إصلاح المجتمع والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قال صلى الله عليه وسلم «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».[٤]

١- تلك هى الخطوط العريضة التى جسدتها التجربة الإسلامية بصيغها الأولى التى عرفت ب"فقة المشاركة" ، ومعادلها الموضوعى اليوم بنحو أوأخر هو "المواطنة" فالمواطنة بمفهومها الغربى الحديث تعنى بالتحديد هذة الابعاد الثلاثة:المساواة، تكافؤ الفرص ، المشاركة في الحكم

إذا كانت مقاصد الشريعة الإسلامية هى تحقيق المساواة والعدل وتكافؤ الفرص ومشاركة المسلم في تحمل المسؤوليات، فإن الإنتقال من" فقة المشاركة "إلى تبنى فكرة "المواطنة" تبدو من البديهيات، ولكن التراكم الإجتهادى المطلوب لتطوير نظام الشورى إلى نظام عصرى يؤكد على" المواطنة" قد توقف عند مرحلة محددة من تاريخ الإسلام[٥]

وتكون المواطنة في الإسلام في أصل مفهومها أوسع من الحدود الجغرافية الإقليمية الضيقة للوطن الإسلامى ويكون كل فرد مسلم أومعاهد مواطنا، لأنة عضو من الأمة الإسلامية لة

---

(١) المعجمالأوسط للطبرانى، ج١٨ص١٢رقم٤٧٤٩ ، دار الحرمين،القاهرة،مسندأحمد ج٣٨ص٤٧٤ رقم٢٣٤٨٩ مؤسسة الرسالة،الطبعة الأولى ١٤٢١ه-٢٠٠١م،وصححة الشيخ الألبانى في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٩٤٦"،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،الرياض٠

(٢) سورة الإسراء، الآيه:١٣

(٣) صحيح البخارى، باب العبد راع في مال سيدة، ج٣ص١٥٠رقم٢٥٨٨

(٤) صحيح مسلم، باب بيان كيف أن النهى عن المنكر من الإيمان، ج١ص٦٩ برقم ٤٩.

(٥) المواطنة في الإسلام واجبات وحقوق، مصدر سابق، ص١٦

كل الحقوق وعلية كل الواجبات كما سبق ذكر ذلك، فالإسلام منذ الوهلة الاولى يدعوا إلى التعايش، ويتسامح مع الجميع.

وفى ذلك يعلق مؤلف كتاب تعدد الأديان وأنظمة الحكم على ذلك بقوله:"تسامح القرآن مع اهل الكتاب من اليهود والنصارى وبلغ هذا التسامح "حد الإستقلال الذاتى، والتشريعى والقضائى، للنصارى واليهود [١] .

ويرتكز هذا التسامح وما ترتب عليه من إستقلا ل تشريعى وقضائى إلى آيات قرآنيه تفيد أن التنوع أوالتعددية مشيئة إلهية، إذا لو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك لأنة يعطل حرية الإنسان وإختيارة ويسقط عنة مسؤولية الإستجابة أو عدمها لما هداه سبحانه إليه، بما أعطاه من فطرة وما أنزل إليه من رسالات تهدية سواء السبيل السبيلقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[٢].

وإذا تركنا جانبا ما طرأ على الصدام اليهودى الإسلامى من مد وجزر وأثر هذا التقلب في النص القرآني، أمكننا أن نجمل فنقول: إن منهج القرآن في هذا المجال على قدر كاف من الوضوح مضمونا وصياغة، ويفسح مجالا واسعا للتوازن بين حسن الوحدة وبين الإعتراف بالتعددية التى شاءها الله لنفسه منذ بدء الخلق ...."

وينقل المؤلف نفسه في هامش الصفحة ٢١١ عن كتاب للمطران تاوفيطوس إدلبى ما يلي:" لم يدر في خلد النبى محمد صلى الله عليه وسلم وآله قط أن يفرض شريعته على أمة أخرى، وذلك إجلالا منه للوحى المتقدم النزول وتوفير لمشيئة الله الذي أراد أن تتعدد الأديان "

إن هذا التنوع والإختلاف في الأحكام وثيق الصلة بحرية الإعتقاد التى لايمكن النيل منها بأى من وسائل الضغط والإكراه لأنها مسألة قلبية، وإذا أمكن منع ما يترتب عليها من ممارسات

---

(١) إشكالية المواطنة في الرؤية الإسلامية، على يوسف، ص٦، بحث منشور على شبكة الإنترنت الدولية،نقلا عن جورج قرم،تعدد الأديان وأنظمة الحكم،ص٢٠٨

(٢) سورة المائدة، الآيه ٤٨

خارجية (عبادات، وتطبيق أحكام٠٠٠٠) فإنه لا يمكن منع الإيمان بها وتحين الفرص لإستعادة حرية وممارسة ما يترتب عليها[١].

كذلك التنوع والإختلاف في الأحكام وفى المجالات المذكورة لايمنع من أن يتمتع المسلمون على إختلاف مذاهبهم، وأهل الكتاب على إختلاف مذاهبهم أيضا بالحقوق والواجبات نفسها ففيما فيما يعود للأحكام المدنية وأحكام الملكية والتجارة وغيرها، ولا يشمل التنوع إلا مجال الأحوال الشخصية، التى عزز التمييز القانونى فيها حث القرآن لكل طائفة دينية على تطبيق التعاليم التى نصت عليها كتبها المنزلة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[٢] المائدة: ٤٨ ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾[٣] المائدة: ٤٧ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾[٤]

فإذا كان لأهل كل ملة أن يحكموا بما جاء في كتابهم وإذا كانت أحكام كل ملة تتنوع تبعا لقراءات ومذاهب متعددة وحصر هذا التنوع المقبول في الأحكام العائدة إلى الأحوال الشخصية وليس إلى الأحوال العامة المتعلقة بالحياة المشتركة في إطار مجتمع سياسى، الأ يكفي هذا التنوع أن يكون معيقا لتطبيق مفهوم المواطنة الحديثة والنظر إية بوصفة نوعا من التوسع في الحريات التى يتمتع بها المواطن؟ [٥]

لقد رأينا أن المواطنة تتعلق بدائرة العام، أى ما يشترك فيه الجميع، وليس بدائرة الخاص ولذلك يصرح الفقهاء دائما حين يتكلمون عن الذمى يقولون" من أهل دار الإسلام"٠

لكن الباحث المدقق في الأمر، يري اختلاف تعريفات المواطنة عند الباحثين، باختلاف المناهج الفكرية لديهم، فمنهم من جعله عقيدة يوالي عليه، ويعادي من أجله، ومنهم من جعله تعبيراً عاطفياً وجدانياً،

---

(١) المصدر السابق، ص٧

(٢) سورة المائدة، الآيه ٤٨

(٣) سورة المائدة، الآيه٤٧

(٤) سورة المائدة الآيه٤٤

(٥) المصدر السابق ص٨

يندرج داخل إطار العقيدة الإسلامية ويتفاعل معها، ويري الباحث من ان "خلاصة القول": ان المواطنة هى الرابط الذي يربط الجميع في وطن واحد، بما يحقق السلم والآمن، ولا يطغى علي الهوية، ولا ينشق عن قصد الشرع .[١]

---

(١) ويرى البعض أن لمفهوم المواطنة إشكالاتة الكثيرة والكبيرة،سواء من حيث نشأتة أو من حيث تطوره وتوسعة...، ويغلط البعض سواء فى ذلك الباحث المسلم أو الباحث السياسى والإجتماعى حين يحصرون مفهوم"المواطن"فى الفكر الإسلامى بما يساوى "المسلم"أو بما يساوى "المسلم والذمى" ثم يقحمون فى البحث أحكام اهل الذمة،وهى أحكام دونت فى ظروف مختلفة... ويقع أيضا غلط أخر حين يختلط مفهوم "المواطنة" بنظام الجنسية وشروط إكتسابها،وهذا الغلط منشأة الفكر السياسى ،وقد إنساق بعض الباحثين فى الشأن الإسلامى مع هذا الغلط٠وبتجريد المفهوم من الأغلاط اللاحقة له يصبح أكثر وضوحا أمام المفكر الفقية.... وأن هذا الغلط منشأة الخلط بين مفهومى"الولاء والإنتماء"فالإنسان من طبيعتة البشرية "الإنتماء"لقبيلتة وجنسة ودينة الذى يتمثل فى طائفتة أو مدرسته، لكن الولاء شئ مختلف ليس من الطبيعة البشرية٠لكنة شئ يتم التطبع علية"فالمواطنة"يتطبع عليها الإنسان فى المكان الذى يولد فية أو يعيش فيه،أى فى المكان الذى تتهيئ له ظروف العيش فيه،وتتحقق فية كرامتة ...ا وإذا كانت المواطنة مفاعلة بين "وطن ومواطن"فإن هذة المفاعلة هى العمارة للارض التى يتحدث عنها القرآن الكريم فى قوله تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ هود ٦١

ويرى زهير فياض"أن المواطنة وبكل بساطة–هى شعور الإنسان بأن الحياة التى تجمعة مع الآخر على مساحة الأرض الذي يتحرك فيها هى حياة واحدة يتولد منها الشعور بالإنتماء إلى الجماعة، إلى الأرض، إلى الدولة التى تحكم العلاقة بين هذة الأطراف فى الواقع الإجتماعى٠وهذا صحيح فى المفهوم الشعورى والفكر الإسلامى يؤكد على ذلك٠ومأحكام الشريعة الإسلامية التى تضيف الفقهيات لهذا المعنى إلا تأكيد على حقوق المواطنة وحمايتها ٠وفى حياة النبى صلى الله عليه وسلم تجسيد أيما تجسيد لحقوق المواطنة٠فالمسلمون على إختلاف إنتمائاتهم القبلية والمكانيه،عرب أوعجم،من السادة والموالى،كلهم ينالون حقوقهم الوطنية فى المدينة المنورة،ولم يكن هناك ما يميز بينهم إلا تنوع الأعمال الصالحة كمهاجرين وأنصار،وقد ذكر الله تعالى ذلك فى كتابه الكريم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الحشر ٩

واليهود فى المدينة كانوا يتمتعون بكل الحقوق السياسية والإجتماعية والإقتصادية، ومات النبى صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة بأصواع من شعير ليهودىوفى عهد النبى صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران تقنين واضح لحقهم فى المواطنة .... جاء فى العهد "ولا يجبر أحد مما كان على النصرانية على ملة الإسلام"٠٠٠بل ماهو أبلغ من ذلك، فقد أخرج بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير"أن وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحانت صلاتهم فقاموا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم وصلوا إلى المشرق"(انظرالمواطنة فى الفكر الإسلامى، المستشار: محمد بن صالح الدحيم"مقال منشور بتاريخ ٢٠١٤/٨/١٠"شبكة المعلومات الدولية"

الخاتمة والنتائج

لم أجد كلمات أنهى بها بحثي المتواضع مثل ما قاله الشيخ محمد الغزالى رحمه الله" إن المبادى التى صدرناها للناس يعاد تصديرها إلينا على أنها كشف إنسانى ما عرفناه يوما ولا عشنا به دهرا.

ولا غرولقد كان ظهور هذة المبادئ منذ إندلاع الثورة الفرنسية شيئا جديد في حياة الغرب. والكعكة في يد اليتيم عجب.

ونحن لا نجادل في نفاسة هذه المبادئ، بيد إن الذين يفكرون في إعانة مصر بتصدير القطن إليها لا يصنعون شيئا، فالقطن في أرضها وفير الثمر جيد المادة ونحن نملك تراثا عامر الخزائن بالمبادئ الرفيعة والمثل العليا.

ونخشى أن يجئ يوما يصدر الغرب إلينا فبه غسل الوجوه والأيدى والأقدام على أنه نظافة إنسانية للأبدان.

فإذا قلت ذلك هو الوضوء الذي نعرفه قال لك المتحذلقون المفتونون: لماذا لا تعترف بتأخرك وتقدمة وفقرك وغناه.

ومع هذا الجهل المطبق فلن نكذب على أنفسنا ولن نفتأ نذكر ما لدينا لا لنقول فقط: بضاعتنا ردت إلينا بل لنهيب بالقاصرين والغافلين أن يستردوا ثقتهم في أنفسهم وحضارتهم، ويحددوا بدقة ما لهم وما عليهم، ثم ليس كل ما يجئ من قبل الغرب الظافر القوى محل تقديرنا، فنحن أصحاب رسالة تنزلت علينا من السماء، نحاكم إلى تعاليمها كل شئ ما وافقها، وإن كان مجلوبا إلى أرضنا فهو حق، وما خالفها وإن كان عرفا مقررا لدينا فهو باطل.

ومن الإنصاف أن نزكى مجموعة من المبادئ والشعارات مأنوسة لنا مدروسة في ديننا من قرون فمن هضم النفس أن نجعلها مخترعات حديثة.

لذلك أعجبنى من الدكتور على عبد الواحد وهو يتحدث عن حقوق الإنسان أن يقول:"ترجع أهم حقوق الإنسان العامة إلى حقين، الحرية والمساواة فذهب الإنجليز انهم أعرق شعوب العالم في هذا المضمار، وزعم الفرنسيون أن هذة الإتجاهات جميعا كانت وليدة ثورتهم، وأنكرت أمم أخرى على الإنجليز والفرنسيين هذا الفضل وأودعته لنفسها.

والحق أن الإسلام هو أول من قررالمبادئ الخاصة بحقوق الإنسان في أكمل صورة وأوسع نطاق، وأن الأمم الإسلامية في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده كانت أسبق الأمم في السير علية.أ,هـ

أما ما يبيحة الإسلام من تفاوت بين المواطنين فهو التفاوت العائد إلى الخصوصية الدينية وما يترتب عليها من أحكام ذات طابع حرمى لتعلقها بالعقيدة الدينية التى لا إكراة فيها.

وفى ذلك نوع من المرونة في تطبيق أحكام المواطنة سواء بالنسبة للمسلمين في عودتهم إلى قضاة مذاهبهم، أما بالنسبة للكتابيين في عودتهم إلى الأحبار والربانيين، المتفقهين في أديانهم أو مذاهبهم في كل ما يعود إلى أحوالهم الشخصية الخاصة.

ولا يخفى ما في ذلك من توسيع لدائرة الخاص"ما يخص فردا أوجما عه بعينها"على حساب العام"ما يخص الجميع دون إستثناء"وبالتالى توسيع لدائرة الحريه وإبتعاد عن سوق المجتمع السياسى لمواطنة بعصا واحدة حيث ينبغي (ما يشترك فيه الجميع بصرف النظر عن الخصوصيات) وحيث لا ينبغى الخصوصيات الناجمة عن الإيمان بعقيدة دينية لها أحكام ذات طابع حرمى ولايمكن الإكراه فيها.

هذا ما يجعل المواطنة في الرؤية الإسلامية منفتحة على التعددية وعلى التعارف في ظل إحترام الخصوصيات. الأمر الذي بات مطروحا من قبل المهتمين بالفكر السياسى في تطلعاتة الإنسانية، ويلقى معالجات شتى تلتقي على ضرورة إحترام بعض الخصوصيات والتنوعات بما لايسئ إلى وحدة المجتمع السياسى ويمنع من تفتيتة.

وإذا كانت القوانين الوضعية لا يخضع لها المسلمون بقلوبهم ولا يتلقون القضاء القائم عليها بتسليم، كان تقريرها للفصل بينهم غير مطابق لقاعدة الحرية، إذ المعروف أن الأمة الحرة هى التى تساس بقوانين ونظم تؤلفها وتكون على وفق إرادتها وإرادة جمهورها.

فالذين ينقلون قوانين وضعها سكان روما، أو باريز أوبرلين، ويحاولون إجراءها في بلاد شرقية كتونس أومصر أو الشام، إنما هم قوم لايدرون أن بين أيديهم قواعد شريعة تنزل من أفق لاتدب فيها عناكب الخيال أو الضلال، وأن في هذه القواعد ما يحيط بمصالح الأمة حفظا، ويسير بها في سبيل المدنية الراقية عنقا(١) فسيحا.

ولو قيض الله للشعوب الإسلاميه من يحافظون على قاعدة حرية الأمم لألفوا لجانا ممن وقفوا على روح التشريع الإسلامى، وكانوا على بصيرة من أحوال الإجتماع ومقتضيات العصر، وناطو بعدتهم تدوين قانون يقتبس من أصول الشريعة، ويراعى فيه قاعدة "جلب المصالح ودرء المفاسد"وبغير هذا العمل لا يملك المسلمون أساس حريتهم، ولا يسيرون في سبيل سعادتهم آمنيين.

إن صح ما تقدم ونظرنا إلى الماضى في واقعة وظروفه، وابتعدنا عن محاسبة الماضى بمعايير الحاضر، فإننا نرى أن الإسلام يتقبل فكرة المواطنة التى تقضى بمساواة مواطنى المجتمع السياسى الإسلامى، فى الحقوق والواجبات المتعلقة بالمجتمع السياسى.

وبعد الإستعراض والدراسة لقضية المواطنة، وما يتصل بها من موضوعات، لاسيما ما يخص حقوق الإنسان يمكن أن نجمل النتائج فيما يلى:

١–الواقف على روح التشريع الإسلامى يرى عين اليقين أنة يوافق طبيعة كل زمان ومكان، وأنة لا يهمل مصلحة يقتضيها حال شعب من الشعوب، ولكن البعض من أولئك الذين لا يعرفون الدين إلا صورة جامدة، ينظرون إلية من طرف خفي، والسبب في ذلك أن بضاعتهم في العلم والسياسة مزاجاة

٢–الفقة الإسلامى في رأينا أصل المدنية الحديثة، فإن إحترام الحقوق وصيانتها، وتشيد منارها مصدرة الإسلام.كيف لا–وهو مؤسس على روح العدل والمساواة واحترام الحقوق الخاصة والعامة، والنظام العالمى، والنزول على مقتضيات النواميس الطبيعية.

٣- يقصد بالمواطنة: الانتماء إلى دولة معينة أرضاً وواقعاً، وحمل جنسيتها. ويقصد بالثوابت الإسلامية: الأحكام الشرعية الاعتقادية والعملية والأخلاقية التي جاءت بها النصوص الشرعية القطعية، أو أجمعت عليها الأمة الإسلامية، ويشمل ذلك ما يتعلق بحفظ الضروريات الخمس، وهي: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

٤-اختلاف تعريفات المواطنة عند الباحثين، باختلاف المناهج الفكرية لديهم، فمنهم من جعله عقيدة يوالي عليه، ويعادي من أجله، ومنهم من جعله تعبيراً عاطفياً وجدانياً يندرج داخل إطار العقيدة الإسلامية ويتفاعل معها، ويري الباحث من ان "خلاصة القول": ان المواطنة هى الرابط الذي يربط الجميع في بنيان الوطن، بما يحقق السلم والآمن، ولا يطغى علي الهوية، ولا ينشق عن قصد الشرع.

ويبقى أن كل التعريفات تتفق على أن المواطنة مفهوم جامع معناه الإنتماء إلى مجموعة سياسية منظمة فى إطار دولة تفترض حقوق وواجبات، وتجعل مجموع المواطنين يشتركون فى تحقيق هدف واحد يتمثل فى العمل الجماعى من أجل تحسين شرط الحياة الجماعية بغض النظر عن المعتقد أو العرف أو اللغة أو الثقافة.

فالمواطنة بالمفهوم الواسع تعنى الولاء للأرض عمارة، وللقوم إحساناً وللقانون إلتزاماً وللسلطة طاعة فى المعروف.

٥-_وحدة الأصل الإنسانى أو النزعة الفطرية الإنسانية:فكل الناس سواء في أصلهم وجنسهم وميولهم الفطرية التى تقتضى التمسك بالمواطنة وحب الوطن وقد دلل القرآن والسنة على ذلك في كثير من الأيات والأثار ٠

٦- كان أول لقاء بين الإسلام نظام للدولة وبين غير المسلمين – مواطنين في الدولة الإسلامية، هو الذي حدث في –المدينة المنورة– غداة هجرة الرسول إليها، هناك كتب النبي ﷺ، أو أمر بكتابة الصحفية، التي يعرفها التاريخ الإسلامي السياسي باسم صحيفة المدينة، أو دستور المدينة أو كتاب النبي إلى أهل المدينة ، و هذه الوثيقة تجعل غير المسلمين المقيمين في دولة المدينة مواطنين

فيها، لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين، وعليهم من الواجبات مثل ما على المسلمين، إلا ما أستثني بنص أو إجماع

٧- "أن حب الوطن من الإيمان" (٥) فهذا القول وإن لم يكن حديثا إلا أنه يبين أن من المظاهر الإيمانية للإنسان أن يحب وطنة ، فلا ينظر الإسلام إلى المواطنة بمفهوم (إسلامية المسلم فى مجتمعة الخاص)على أنها حركة مغلقة، بل هى حركة منفتحة، فإقامة المجتمع المسلم المتماسك يستهدف الإنفتاح على ما وراءه إنفتاحا إيجابيا إلى المجتمعات المسلمة للتوحد معها والإسهام فى حمل همومها ، وإلى المجتمعات الأخرى للإسهام فى إعلاء القيم الإنسانية التى تحقق للعالم تعايشا سلميا وتفاعلا حضاريا نافعا ، فالإسلام لم يأت ليمنع ما فطر عليه الناس ، لكن ليهذب ذلك المعنى.

٨- المواطنة في الإسلام في أصل مفهومها أوسع من الحدود الجغرافية الإقليمية الضيقة للوطن الإسلامى ويكون كل فرد مسلم أومعاهد مواطنا، لأنة عضو من الأمة الإسلامية لة كل الحقوق وعلية كل الواجبات.

٩-غياب مصطلح المواطنة كما يردد المستشرقون ومن سار على نهجهم عن الأدبيات الإسلامية لا يعنى غياب جوهرة فكما لكل مصطلح تاريخ مفهومى وحدود واضحة، فإن لمبدأ المواطنة جذور فى الإسلام وقد أقرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى صحيفة المدينة، وما تقرر فيها من أحكام تقوى معالم المواطنة والركائز التى تقوم عليها وهى"العدالة، المساواة، الحرية"مما يجعل لمبدأ المواطنة جذور عميقة فى الفقه الإسلامي كذلك "صحيفة الحديبية" التى يعتبرها المستشرقون أكثر قربا لمفهوم المواطنة بمعناة الحديث لأنها جسدت إتفاقا ذو صبغة دنيوية وليست دينية بين فئات متساوية فى القوة والتأثير عندما وافق النبى محمد صلى الله عليه وسلم التوقيع عليه باسمه(محمد بن عبد الله)أى من دون ذكر صفتة الدينية كرسول لله جل شأنه... وتم هذا الإتفاق بمحض إرادة المساهمين فيه

١٠- وقد لمسنا من خلال البحث أن الإسلام يحث دائما فى العلاقات التى تمس غير المسلمين على أن يكون أتباعة آخذين بأمثل الأداب العليا وأكرم الصفات الطيبة، وأن يكونوا أرحم الناس

بعباد الله، حتى أنة أصبح من البدهيات المعروفة صدق قول المستشرق غوستان لوبون"ما عرف التاريخ فاتحا أرحم ولا أعدل من العرب"

أمكننا أن نجمل فنقول: إن منهج القرآن في هذا المجال على قدر كاف من الوضوح مضمونا وصياغة، ويفسح مجالا واسعا للتوازن بين حسن الوحدة وبين الإعتراف بالتعددية التى شاءها الله لنفسه منذ بدء الخلق ..."

وفى الختام إنى لأرجوا الله أن يتدارك بلطفه ما في هذا الجهد من قصور، وأن يتجاوز بعفوه عما لحقنا من تقصير.والله أسأل أن يسبغ علينا نعمة التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة بمصادر البحث ومراجعة

١- أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي، دار الأندلس للنشر – بيروت.

٢- إشكالية المواطنة في الرؤية الإسلامية، بحث منشور على شبكة الإنترنت، بدون ذكر الدار وسنة النشر.

٣- الإتجاهات المعاصرة فى تربية المواطنة، د.فهد إبراهيم الحبيب، بحث منشورعلى شبكة الإنترنت، موقع مجلة أفاق، بتاريخ ٢٠١٠/٥/١٩.

٤- الإصابة فى تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية– بيروت الطبعة الأولى – ١٤١٥ هـ.

٥- التأصيل التأريخى لمفهوم المواطنة، د بان غانم –مركز الدراسات الإقليمية، بحث منشور على شبكة الإنترنت.

٦- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»

٧- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م .

٨- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٩- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

١٠- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

١١- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون سنة نشر.

١٢- المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، دار المعرفة – بيروت ١٤١٤هـ –١٩٩٣م .

١٣- -المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس المكتبة العلمية – بيروت.
١٤- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية، بدون ذكر سنة النشر.
١٥- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، بدون سنة النشر.
١٦- المواطنة المسؤولة د.جمال بند جمان، الناشر المعهد العربى للتنمية والمواطنة، شبكة المعلومات الدولية.
١٧- المواطنة بين الدين والعلمانية: لبنان نموذجا، محمد جودى، مجلة عود الندى :الناشر د.عدلى الهوارى، شبكة الإنترنت الدولية
١٨- المواطنة حقوق وواجبات، د.صابر عبد الباقى، الحوار المتمدن، العدد ٢٩٢٠، مقال منشور بتاريخ ٢٠١٠/٢/١٧، شبكة الإنترنت.
١٩- المواطنة فى الإسلام حقوق وواجبات، د على عبدة أبو حميدى، موقع منهل الثقافة التربوية، شبكة الإنترنت الدولية.
٢٠- المواطنة فى الفكر الإسلامى المعاصر بين الضرورة والإمكان، سمير ساسي، مجلة آفاق، مقال منشور بتاريخ ٢٤ /٢٠١١/٥، شبكة المعلومات الدولية.
٢١- المواطنة فى الفكر الإسلامى، المستشار: محمد بن صالح الدحيم"مقال منشور بتاريخ ٢٠١٤/٨/١٠"شبكة المعلومات الدولية".
٢٢- جدلية الهوية والمواطنة فى مجتمع متتعدد الثقافات"٣"، د. عبد الحسين شعبان، موقع مثقف، شبكة الانترنت.
٢٣- المواطنة، سامح فوزي، الناشر مركز القاهرة للدراسات وحقوق الإنسان، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
٢٤- الموسوعة العربية العالمية، شبكة المعلومات الدولية.
٢٥- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، دار الهداية.
٢٦- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٧- تربية المواطنة من منظور إسلامى، محمود خليل ابو ردف، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٤م، بدون دار نشر.

٢٨- تفسير السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، دار الوطن، الرياض - السعودية الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٩- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٠- تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار طيبة للنشر والتوزيع، بدون ذكر الدار وسنة النشر.

٣١- تفسير المنار تفسير القرآن الحكيم ، محمد رشيد بن علي رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م.

٣٢- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٣٣- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٣٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٣٥- حب الوطن من منظور شرعى-زيد بن عبد الكريم الزيد، موقع الأمن الفكري، شبكة الإنترنت العالمية.

٣٦- حقوق المواطنة وواجباتها فى ضوء الكتاب والسنة، د. حسن السيد خطاب، بدون ذكر الدار وسنة النشر.

٣٧- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

٣٨- دور تدريس مادة التربية الوطنية فى تنمية قيم المواطنة لدى تلاميذ المرحلة الإبتدائية، عطية ابن حامد بحث منشور على شبكة الإنترنت.
٣٩- شرح صحيح البخارى لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ، مكتبة الرشد – السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٤٠- صحيح البخارى = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٤١- صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤٢- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٤٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.
٤٥- ٤٤-فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ.
٤٦- ٤٥-كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، دار ومكتبة الهلال.
٤٧- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى دار صادر – بيروت الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٤٨- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٤٩- معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية، احمد زكي بدوى، مكتبة لبنان – ١٩٨٢م.

٥٠- مفهوم الديمقراطية فى الوطن العربى، على خليفة الكوارى، شبكة المعلومات الدولية **www.dr-alkuwari.net**

٥١- مفهوم المواطنة فى المنظور الإسلامى، بحث منشور على موقع إسلاميات، ١٦ ذو القعدة ١٤٣٣ هـ.

٥٢- مفهوم المواطنة فى النظام الديمقراطى، ليث زيدان، موقع الحوار المتمدن، العدد ١٩٣٢، مقال منشور بتاريخ ٢٠٠٧/٢/١٧.

٥٣- مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية، دعلى خليفة الكوارى، الناشر مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت، ضمن كتاب المواطنة والديمقراطية فى البلدان العربية.

٥٤- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية ، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

٥٥- مواطنون لا ذميين، فهمي هويدى، دار الشروق، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.

٥٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٥٧- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٥٨- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ – م١٩٨٦.

٥٩- البناية شرح الهداية، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٦٠- البيان الختامى للدورةالسادسة عشر المنعقدة فى مدينة " استانبول في تركيا في الفترة من: ٧-١٣جماد الآخرة١٤٢٧هـ الموافق لـ ٣-٩ تموز (يوليو) ٢٠٠٦م "بشأن المواءمة بين التقيد بالثوابت وبين مقتضيات المواطنة".

٦١- تعدد الأديان وأنظمة الحكم، جورج قرم، بدون طبعة.

٦٢- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م.

٦٣- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٦٤- سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

٦٥- سنن ابو دواد (ج٧ص٤٤١)، أبو سليمان بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٦٦- السيرة النبوية لابن عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، شركة الطباعة الفنية المتحدة، بدون ذكر الدار وسنة النشر.

٦٧- صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المكتب الإسلامي، بدون سنة نشر.

٦٨- ضعيف الجامع الصغير وزيادته أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المكتب الإسلامي، بدون سنة نشر.

٦٩- غريب الحديث أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

٧٠- مجلة الوفا ق، حوار مع سمير ساسي، منشور بتاريخ٢٠١٠/٥/٢٩ شبكة المعلومات الدولية.

٧١- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني مؤسسة الرسالة، بدون سنة نشر.

٧٢- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة الطبعة: الأولى.

٧٣- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٧٤- المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة الطبعة: بدون سنة نشر.

٧٥- شرح منتهى الارادات: دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٧٦- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٧٧- مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٧٨- الموسوعة العربية العالمية http://www.mawsoah.net.

٧٩- الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي – الإمارات الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٨٠- موقع المجلس الأوربى للإفتاء والبحوث، شبكة الإنترنت الدولية.

٨١- موقع المكتبة الشاملة، شبكة الإنترنت الدولية.

٨٢- موقع وزارة الإعلام المصرية، شبكة الإنترنت الدولية.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١
المبحث الأول: تعريف المواطنة	١٧
المطلب الأول: تعريف المواطنة لغة	٢٠
المطلب الثاني: تعريف المواطنة إصطلاحا	٢٤
المبحث الثانى: مفهوم المواطنة في المنظور الإسلامي والتأصيل الشرعى لها	٣٣
المطلب الأول: التأصيل الشرعى لمفهوم المواطنة	٣٣
المطلب الثانى: المواطنة في الفقة الإسلامى	٤٩
المطلب الثالث: تحديد مصطلح المواطنة في الفقة الإسلامى	٥٣
الخاتمة والنتائج	٦٢
قائمة بمصادر البحث ومراجعة	٦٨
الفهرس	٧٥